

الخطبة

الاولى

الغالبون بالدين

تأليف

محمد عبد القادر سراج الدين

مطبعة

الى الروح الطاهرة

اليك في حياتك الخالدة الى روحك الطاهرة الى حنانك
الأبوى أقدم أول قطره من دموع حياتي أسطرها من حيات
قلبي ، أستمد من فضيلة الحب بياناً ومن صفاء الخيال قوة ومن
جمال الحقيقة سحراً ومن بركم بولديكم والناس وفاء ونوراً

كلها أمير الشعر والبيان

« سعادة احمد شوقي بك »

« قرأت فصول هذه الرواية ولما تقدم للطبع فوجدت »
« قصصاً حسناً أنسقت عباراته أمساس مساق وأنسقت »
« حوادثه ألطف أنساق وتجانس الاشخاص على سماعه »
« وتمكنوا في نواحيهم فليس منهم من نباهه موضعه أو ثقل على »
« القارئ مطالعته الأماندرو ومالم يسلم أصحاب القصص الطويلة »
« من الوقوع فيه ولقد طالما تمنيت أن يكون لشبان الوطن »
« ونجباء طلبة العلم من أبنائه أشغال يستريحون اليها من »
« دروسهم ويقبلون عليها بهوي نفوسهم فيفيدون ويستفيدون »
« ويستحدثون ويحدثون ويستدفعون شيطان الفراغ اذا أعين »
« بشيطان الشباب وأى شغل أروح للنفس وأجلب للأنس »
« وأشحن للذهن وأبث لنشاط الخيال من هذا الفن الذى أجمع »
« المفكرون على حسن أثره في تهذيب النفوس وترقية الاخلاق »
« لذلك كان سروري بهذه الرواية حين دفعها الى واضعها النابغ »
« سراج الدين لا يمد له الا أعجابه بقدره خياله وعذوبة بيانه »

احمد شوقي

« ولطف اختراعه للحوادث »

١٩٢٤ / ٣ / ١٠

مقدم

أعتاد الكتاب والروائيون تصدير كتبهم بملاحظات
يفصّلون فيها عن الأغراض التي يرمون إليها في ثنايا سطورهم
ولقد أردت أن أحذو أثرهم فوجدت أن القلم سيطوى منى عدة
صفحات لا يضيرني الأتيان عليها . ولكنني تحققت أن مثل هاته
الخلاصات طالما أذهبت برواء الكتاب وطمست من آثار الدقة
وقوصت معالم الاتقان وخاصة في الروايات الموضوعه . ولا أقول
سوي أن هذه الرواية التي أقدمها اليوم انما اردت بهانصوير الحب
في مثله الأعلى وابوائه من اتهام البعض له من أنه عاطفة
حيوانه غايتهما اشباع الشهوات واستباحة ما تدفع اليه الطبيعة
البهيمية فيسيثون الى معبود معصوم ويشوهون معنى من أكبر
معاني الحياة ويفرطون عقدا هو زينة كل حي وسلوة كل
محزون ، هو جُماع السجايا النبيلة والمبادئ السامية ، وهو أصل
والفضائل كلها غصونه .

ولقد استملت من وجداني عونا على تصوير تلك المبادئ

الشريفة ومن مشاعري روحا ضمنتها غاية هاته الرواية وما أبغى
غير انصاف المظمة الحقيقة في هذا الوجود . والخلود الحلي ما بقي
هذا السكون ، ذلك هو « الحب » الذي نشأ وترعرع منذ كان
العالم . فهو الذي يربط الام بفائدة كبدها والاب بحشاشة صدره
والزوج بزوجه ، والصديق بصديقه والحبيب بحبيبته والجار
بجاره والمشير بالمشير

أنا لا أعرف لماذا وجد العالم وخلق الانسان ؟ وإنما أعلم أن
العالم هو ان وآلام وأن الحياة عناء وتعب كان الحب فيها دائماً
مسمرياً لهمومه ومخففاً لتكاليفها بل هو مصدر السعادة فيها
وإذا كان هذا شأن الحب من السمو الذي نحسه في كل
مشاهداتنا فقد نباسهم من يتهم الحب أو يسيء تصويره ويرتكب
باسمه الجليل النقي أوزارا هو منها بوى .

أيها الحب كم من آثام ترتكب باسمك كل يوم وكم من
شهوات بهيمية وسوات منكروه يهوى اليها ضغفاء النفوس ثم
يلقون عليك أثم طغيانهم . وهأنذا أستمند من وحي الحب قوة
وبيانا أصور به جلال الحب في وقائع ملاموسة مترعة بالمبرة فياضة
بالذكرى لمن ألقى السمع وهو شهيد

وأثنى في ختام هذه الكلمة لايفوتني أن أتقدم بكافة اعتذار
أرجوا أن يتقبلها مني أمير الشعراء ورب اليراع سعادة أحمد شوقي
بك المعجزي عن إيفاء شكره . لقد طوق هذه الرواية فضلاً من
شريف عنايته وخصص لقراءتها قبل أن تقدم المطبع ردماً من
وقته الثمين فما أبرصنيمة وما أجل تواضعه : بارك الله فيه ونصر أيامه
وأتقدم بشكري لأخواني وأصدقائي الذين تفضلوا
بارشاداتهم النافعة في إنجاز هذه الباكورة وأدعو الحق سبحانه
أن يلهم الجميع نعمة الصداد والصواب خير البلاد والسلام

محمد عبد القادر سراج الدين

١٥ / ٤ / ١٩٢٤

التمثال

يرى الزائر عند مدخل متحف مدينة مكسيكو تمثالا
مصنوعا من البرنز لشاب نقش اسمه عند قاعدته تدل سيماه على
جمال الطلبة حاد البصر والذهن وقاد القريحة تشع من أساريره
دلائل الفطنة والذكاء كما يدل مجموع وجهه على دماثة الخلق وخفة
الروح ولطفها ثم الجرأة والمخاطرة وتحمل الآلام في شدائد
الأمور . التمثال عجيب يدل على مهارة صانعه ونباهة مبدعه
فهو تمثال ناطق كأنه يتكلم لحة واحدة كافية لأن تورد في خيالك
ماهية ذلك الشخص الذي يمثل وتعلم عليك كثيرا من أوصافه
وخلاله ، ولا عجب إذا رأينا مثل هذا التمثال في بلد كمدينة
مكسيكو عرف أهلها منذ القدم بحذقهم في فن النحت

كانت أول نظره القيمة على ذلك التمثال كافية لإثارة اهتمامي
التقصي عن أصله وتاريخه واقصد بلغ بي الكلف بهذا الأمر
اشدائي عن التدقيق في رؤية ما حولي من الآثار والمخلفات

وزاد اهتمامي بمعرفة صاحبه ما رأيت في ملاحظه من السجنة الفرنسية
فهو أذن من مواطني هاجر الى هذه الاصقاع من زمن بعيد
فإذا كان شأنه بهذه البلاد حتي أقاموا له هذا التمثال بين
تراث أجدادهم ومجد سلافهم ؟ على أن قلة معرفتي باللغة
المكسيكية التي تغلب فيها الاسبانية قد حال دون جرأتي على
سؤال أحد الحراس أو العمال الذين بالمتحف وكأهم من الوطنيين
ولكن الرغبة الشديدة التي نبئت في نفسي كانت تدفعني دائما الى
السؤال وفي تلك اللحظة التقيت بموظف كان مارا من أمامي
علمت من الحارس الذي بجانبني أنه وكيل المتحف فأستوقفته ثم
استسمحته وخاطبته بالفرنسية سائلا أياه أن يزودني ببعض
المعلومات عن « المسيو رولاند أديعون » صاحب ذلك التمثال
البرنزي القائم عند مدخل المتحف فابتسم وما لبثت ابتسامته
أن تلاشت بين سحابة الدهشة والعجب التي علت جبينه عند ما
ذكرت له اسم « رولاند » كأنه دهش أن يرى سائلا يستفسر
عن هذا الاسم أو كأنه فرض أن جميع الناس يعلمون بشهرة
ذلك الشخص ! فكيف بي أسأله هذا السؤال : نظر الى
ثم قال :

يظهر لي ياسيدي أنك حديث العهد ببلادنا ولعل هذه أول
زيارة لك لهذا المتحف

نعم ، فقد حضرت من فرنسا منذ اسبوع
حسنًا ، أما «المسيو رولاند» وأظنك تود كفرنسي أن تعرف عنه
الشيء الكثير فهو ذلك الأثرى الشهير الذي بحث مجده بلاد
المكسيك وكشف النقاب عن مدنيتهما المسافرة التي توجت تاريخنا
بأعظم نخر وأكبر اعظام ، لقد كان هو مكتشف معبد الملك
«منتزوما» أي مكتشف آثار العصر الذهبي في تاريخ بلادنا ، لم
يكن المسيو رولاند منذ نشأته أثريًا وانما له قصة غريبة يذاكل
شخص وخاصة كل فرنسي الاطلاع عليها والوقوف على أسرار
تلك الحياة الخافله بجايل اعمال أحد مواطنيه الذين يقدمون اليه
مثالًا عاليًا من سمو النفس ونباهة جدير بأن يكون له قدوة في حياته
ولكن ليس هذا ياسيدي محل ذكر شيء من ذلك التاريخ الجليل
ومع هذا فلكي أستطيع أن أتصور جلال العمل الذي قام به فإنه
يكفيك ان تلقى نظرة واحدة على محتويات الجناح الايمن من
هذا المتحف وهي جميعها من مكتشفاته او قد نقات منذ أعوام
قليلة من مكانها الذي وجدت فيه حيث بقيت هناك عهدًا

طويلاً بعد اكتشافها إلى أن هيات لها مصالحة الآثار ذلك الجناح
قال ذلك ثم أراد استئناف سيره ولكن مانوه به عن حياة
المسيورولاند كان لا يزال عالماً بما بدا كرتي وقد قوى في رغبة
الاستطلاع على اسرار حياة ذلك العظيم ، لذا استسميته مرة
اخرى وسأله كيف استطيع الاطلاع على تاريخ حياة المسيور
رولاند؟ هل هو مكتوب في كتاب أم هو محفوظ بالتواتر أم هو
منقوش على بعض الآثار أم ماذا يكون الطريق أو الوسيلة
إلى الوقوف عليه؟ فأجبنى ليست قصة المسيورولاند خيالية خففتها
الناس بالتواتر ولا هي ترجع إلى العصور القديمة أيام أن كانوا
ينحتون كتبهم وعباراتهم فوق الاحجار والصخور وانما هي قصة
من القصص الشيقة صادفت هوى لدى الذين اتهم إلى عالمهم
في غضون القرن الماضي وتناقلها العارفون بها عن مذكرات المسيور
رولاند نفسه الذي كتب معظمها بخط يده ثم أتمت بقيتها صديقه
لوسي واعدت الفصايف الأخيرة في فقد وضعها المستر «ابراهام» مدير
المتحف اذ ذلك الذي قام بطبع هذه المذكرات في شكل قصة
فيما بعد .

ولما كان المسيور رولاند قد قضى نحبه في هذه البلاد ومن بعده

صديقه لوسى فقد استولت بلدية مدينة المكسيك على هذه المذكرات
وعهدت الى المستر « ابراهام » بترتيبها وتنسيقها ثم طبعها ونشرها
بين الناس تخليدا لذكري ذلك الامام الفاضل وتجد المذكرات
الاصالية مع بعض النسخ المطبوعه محفوظه حتى اليوم في احدى
حجر هذا المتحف اما ما نشر من نسخ هذه المذكرات فقد تلقفته
الايدى منذ الساعة الاولى لظهورها واحتفظ كل بما احترز ومن
تجد عنده بعض هذه النسخ فأنتك تراه قد وضعها ضمن مجموعه
آثاره الناليه . هذا ما كان من أمر مذكرات المسيورولاند التى
هى عبارده عن تقرير لحياته الخافله بجملائل اعماله الباهره

ولما يظهر لى ياسيدي من أنك شغف بالاطلاع على هذه القصة
وقد لا يتسنى لك ذلك فيمكننى ان اعاونك على تذليل هذه
المشقة بان اعيرك احدى النسخ المحفوظة عندنا ، فامتلا فابي سرورا
وشكرت لصاحبى حسن شعوره وعواطفه ثم تبعته الى مكتبه
وقدمت اليه بطاقتى وعرفته بنفسى وكذلك قدم لى بطاقته
فتقبلتها منه شاكرآ ، ثم رافقنى بعد ذلك الى الجناح الأيمن من
المتحف حيث بهرتنى ما فيه من الآثار النفيسة وفي أثناء جولتنا
بين الكنوز تناول الوكيل مفتاحا من جيبه وفتح مقصرا عاز جاجيا

أخرج من خلفه غلافًا من الجلد فتحه وناولني منه كتابًا متوسط الحجم مكتوبًا عليه عنوانًا كبيراً هو « حياة المسيورولاند أديمون مكتشف مقابر الملك منتزوما » وهنا برقت عيناى بهجة وفرحاً وانحنيت شاكرًا له جميل صنعه وبعد أن انتهينا من رؤية جميع النفائس التى يضمها ذلك الجناح ودعته وخرجت .

تلك القصة أو ذلك التاريخ المثير الذى اشتملت عليه صحائف ذلك الكتاب الذى قرأته فى الايام القليلة التالية هو بعينه الذى سأودعه أوراق هذه الرواية التى أقدمها اليوم للقارئ الكريم ولقد نقلتها بقبائل من التصرف وقصدت فيها الأسلوب القصصى حتى تكون أسهل متناولاً وأكثر تسلية ، وهى موضوع لسان المسيورولاند ونفسه اذ بدأها بذكريات عهد طفولته...

حياة الطفولة

يجتاز الانسان حياة الطفولة ذلك العمر الذي تشبه ذكراه
ذكرى حلم لذيذ يفيض فيه نهر السمادة والهناء ثم يستيقظ منه
فجأة فيرى أنوار الحياة الجديدة وهي تشع عليه بضياءها اللامعة
الكسيرة ، المنيرة الممتعة ، في تلك الساعة لا نعلم أين أصبحنا ومن
نكون ؟ بعد تلك الحياة الصافية حيث لا ألم ولا حزن . حياة
كانت أبدية لانعرف لها نهاية

ماذا يخطر على الطفل حياته وهي حياة كلها مملوءة سذاجة
وطهارة ، أي ألم يشمر به أو أي شاغل يهيمه ، انها حياة تسرى
فيها روح المطف من تلك القلوب الصغيرة النقية التي هي كقلوب
الطيور المغردة والمصافير المزققة ، قلوب أطفال تفيض كلها
حناناً خالصاً بعضها نحو البعض الآخر ، حياة تتوجهها الوداعة
وخفة الروح ، انها حقيقة جديرة بأن تكون حياة خالدة ترفرف
عليها أجنحة السلام والطمأنينة

أنى أرانى قد نسيت كل شيء فاقصد تشمع من خيالى ذكرى
ماضى ذلك العهد السعيد والحياة الهنيئة فأمسست سطورها خفيفة
متسارعة نحو المحو والزوال فهي أشبه بالسطور التى تخطها على
صفحات الماء أو على وجه الرمال ، لا تزال تمحوها الرياح شيئاً
فشيئاً حتى تتلاشى تماماً ، كذلك سطور ذاكرتى فانها أمسست
ملوثة متجمعة عبثت بها الايام والاعوام حتى محت كثيراً
من محفوظاتها .

أن طفولتى بعيدة العهد اندثر كثير من حداثتها ولا أعى
أيامها الاولى ، أرجع بتصوراتى وخيالى الى آثارها المتبقية فأراها
قد احتضنتها الأبدية حيث تزوي الحوادث بين أطباق عصورها
المتعاقبة البالية .

على أنى مازات أذكر تلك السماء الصافية والطبيعة البهية
التي طالما انتعشت برؤيتها وكيف افترشت العشب الأخضر
مراراً وعبرت الحقول والمزارع طويلاً وعرضاً تارة سيرا هادئاً
وأخرى عسواً سريعاً أقضى في ذلك الاستعانة الطوال دون أن
يعتريني ملل أو كلال ، ثم كيف كان لى في ماء قنراتها وصراويها
يما منامى الاطراف أطلق فيه عنان سفني وجوارى المصنوعة

من الورق حيناً ومن الخشب أخرى وهي مجمله بأنواع المشحونات
من غلال وأكياس مما كان يستفرغ كل اهتمامي فأمضى في هذا
السفر الذي كان لا يتعدى أمثاراً معدودة نهائياً كما كنت أعدّه
أبهج أيامي وأسعدّها

ثم أذكر كيف كانت السحب الكثيفة المتلبدة في السماء التي
تأتي بظلامها الدامس الرعب والظلم في النفوس ثم الرعد والقصف
الذي كان ينذر بالصواعق والشهب وكيف أن البرد والأمطار
ترمي بعد ذلك بغزارتها فتتاقها بالبشر والسرور ثم كيف كنا
ننتظر بفروغ صبر أن نرى تلك الألوان السبعة الجميلة ألوان
قوس قزح التي كانت تطير لربّها نفوسنا فرحاً وبهجة ، ثم كيف
كنا نعجب بشجاعة بعض تلك المصافير المتمشّة الوثابة التي
كانت قلوبنا مثل قلوبها تبتهج لسقوط الأمطار والغيوث فنقف
نشدّها الأناشيد والأغاني ثم كيف كانت تملأ قلوبنا الرحمة
لتلك الطيور المشرقة الصارخة الباحثة عن مأواها الفارة أمام
جيوش الأمطار والزوابع .

وكذلك أذكر ذلك البناء الجميل الذي نشأت فيه وتربيت
بين جدرانها ، كم أشعر بمطافة حنان شديدة لذكرى الأيام التي

قضيته فيها ، أجل أنها عاطفة ممزوجة بلذة وشوق ووجد...

كم تذكرني زواياه بالدمى المديدة واللميمات الكثيرة التي
كنت اواردها بينها وكم تذكرني رؤياه بأيام الاعياد والمواسم التي
صرت على فيه وأزهار شم النسيم ورياحيته ووروده ..
أيه لقد تقادمت الايام ومرت الاعوام حتى انطمس كثير
من حوادث الماضي ، أنى أراى نامياً كل شئ فيالك من ذاكرة
ضعيفة أضعت أحلى ذكريات أيامك السالفة وحياتك الغابرة .
ذاك ما أعيه من أيام الطفولة تتخلله وجوه أصدقائي ورفاقي
العديدين الذين كانوا يشاركوننى كل اعمالى ثم وجوه افراد اسرتى
المحبوبة ثم حدائق وأعشاب وخضراوات ناضرة ومياه جارية
وسماء صافية وشمس ساطعة ...



في المدرسة

مضت الاعوام وانطوت كأنها ما بين شروق شمس وغروبها وتركت
 قريتي حيث سادت بتلك الحياة الصافية حياة الطفولة المتلائة
 التي لها في الخيال لمان كضياء الكواكب المنيرة في وسط الدجى
 الدامس ، وحيث تاقمت فيها أسس تربيتي ومبادئ تعليمي الأولى
 بين جدران مدرستها الابتدائية التي لها أحسن أثر في نفسي .
 والآن وقد انتقلت الى جامعة باريس حيث أرى فيها كل شيء
 غريب لدى فقد اخذت تنوارد على ذاكراتي سنى الماضية وأيامي
 الفاتنة وبدأت سلسلة الحوادث السافلة والمناظر المديدة تمر أمامي
 واحدة بعد واحدة فذكرت حقول القرية ونضرتها وسماؤها
 وزرقتها ومياهها ولذاتها ، كما ذكرت رفاقي واصدقائي فذكرت
 معهم العابثون وادر طفولتنا ، ثم ذكرت معلمي في المدرسة وأبي
 وأمي واخوتي وعائلتي فسرت في نفسي عاطفة الحنان والشوق
 وكذلك استمرت رأسي تفيض بحوادث الماضي الجملة حتى شمرت

بضيق يتملك فؤادي فهمت أسير من مكاني أنفض عني أثر هذه
الذكريات الباعثة لألمي وحزني وبينما أنا أنقدم في سيري وجدته
قد خلفت الجامعة ورائي وأني صرت في منتصف الشارع
المجاور لها وهنا توقفت قليلاً ولكنني عزمت أخيراً على الوصول
إلى نهاية الشارع ثم أعود إلى الجامعة ، وما بلغت المكان المزمع
حتى شخصت عيني تنظر إلى شاب قادم في الطريق فتممت في
نفسى قائلاً « أليس هذا هو خادم الكونت دارتوي شريف قريننا
وجارنا في المسكن ؟ أجل انه هو خادمه وكثيراً ما رأيته ينفقنا
المصر وكثيراً ما أهداني بعض الأزهار الجميلة ، هو مارلو بعينه
هو هو » ثم صحت منادياً وكان في الجانب الآخر من الشارع :
« مارلو - مارلو ... »

أخذ مارلو ينظر حوله وكأنه لم يعرفني في بادئ الأمر فتردد
هل يقف أو يتقدم في طريقه وارتفعت من جبينة أذمة اضطراب
شديدة وما لحني وأنا أشير إليه بيدي حتى تقدم نحوى وذكروا ما غاب
عنه أولاً ثم حياني وقال :

أجل ياسيدي ! أرجو أن تكون متمتعاً بتمام الصحة والهناء .
اني لله الحمد بخير وأود أن تكون سعيداً كذلك يا مارلو .

شكراً لك ياسيدي ومتى حضرتت من القرية ؟
جئت منذ أسبوعين والتحقت بجامعة باريس ولكن من
أين أنت آت الآن يامارلو ؟

انى آت من قصر سيدي الكونت
وهل الكونت يقطن هذا الحي ؟

هو كذلك ، وقصره هو البناء الثامن في الجهة اليمنى من هذا
الشارع شكراً لك يامارلو ، ثم ناولته فركنا وأستأنفت سيرى ،
على انى عزمتم في الحال على زيارة أسرة الكونت ، ومواطني قريتنا
وجارنا بها وصديق عائلتنا ولكن لما كان الوقت متأخراً فقد
أجلت زيارتي الى الغد وعدت الى الجامعة .

وفي منتصف الساعة الخامسة من مساء اليوم التالي قصدت
قصر الكونت وما التقيت به بين ابناؤه وافراد عائلته حتى امتلأ
قاي بماطفة البهجة والارتياح فبيتهم بشوق وابتهاج فقابلوا تحيتي
بأحسن منها ثم جلسنا جميعاً واخذنا نتجاذب اطراف الاحاديث
بين الماضى والحاضر وبينما اسمع لهم واتحدث اليهم اذ تملكتنى
عاطفة غريبة لم اشعر بها من قبل كما شعرت برغبة لا تقاوم للنظر
الى اتجاه معين من الحجرة التى كنا جالسين فيها ، ذلك الاتجاه

هو حيث كانت لوسى ابنة الكونت الكبرى فاما التقى بها نظري
احسست انى اسمع اذ ذاك دقات قلبي المتسارعة المتباطئة فأرخيت
طرفي مرغما حتى لا يظن لأمري احد ثم اسدات على افكارى
ستار الخفاء والنسيان ، على ان ذلك الامر أمسى بعد خروجى
من قصر الكونت باعثا لدهشتى ومصدرا لتفكير طويل فى
الايام التالية حتى حرت فى نفسى من امر هذا الشعور الغريب
الذى لم استطع ان افهم كنهه .

بعد ذلك كنت اذهب احيانا الى القصر ومنذ ذاك العهد صرت
أرى فى كثير من الاوقات صورة ترتفع من اعماق خيالى تبدو
أولا كالطيف ثم تتجسم شيئا فشيئا وتتشكل وتظهر صورة
كاملة تقرب منى قليلا قليلا وتشع على بضياؤها فتغير ظلمات نفسى
وتقف ماثلة أمامى ساعة تبهرنى بانوارها تستملك فيها على اى
وتخاب فؤادى

عرفت اخيرا أن تلك العاطفة الغريبة التى شعرت بها منذ
بضعة اسابيع هى الحب وأن هذه الصورة هى صورته . .

عيد الميلاات

كنت في زيارة الكونت في يوم من أواخر شهر ديسمبر
فعرض علي قضاء فترة عيد الميلاد مع أسرته في قرية ثارن وهي
الأن بعد كثيرا عن باريس حيث يملك الكونت ضياعا واراضى
واسعة وحيث تشتهر هذه القرية بمناظرها الجميلة وجبالها
الشامخة التي تتوجها يتيجان بيضاء من الثلوج والجليد .

حسبت هذه الدعوة هبة جزيلة ساقتها لي يد الاقدار وما
كنت أحلم بها من قبل فهي فرصة عديدة النظير ساستطيع فيها
أن اجد لوسي بجاني في كل وقت ، سيضعنا جدار واحد
ومائدة واحدة ، سنجلس ونتحدث ، سنبتسم ونتمسك ، سأكون
أو سنكون سعيدين بأنفسنا حقاً انه حلم وسوف يكون تأويله قريباً
وفي اليوم الثاني من شهر يناير كان القطار يقلنا جميعاً الى
قرية الكونت وبينما كان الكونت مع فرينة يطلمان على
الصحف اليومية وقد نشبت بينهما مناقشة حادة بشأن من

المشؤون السياسية، كنت أنا ولوسى نطال من إحدى نوافذ القاطرة
نستعرض مناظر الطبيعة الخلابة ونسبح مع أمواجها في بحورها
الخضرم الشامع الاطراف وكذلك قضينا ساعة من الزمان تفاءلت
بها خيراً بعبء الأيام المقبلة

وصلنا حوالى الظهر الى المحطة فاقلتنا منها سيارتان ركب في
اولاهما الكرونت وقرينته وابنتهما الصغرى ، واما الثانية فقد اقلتنا
انا ولوسى وأخيها شارل، وبعد نحو نصف ساعة وصلنا قصر الكرونت
وهو بناء شامخ جميل يشرف على ربة تتدرج فوق الجبل اكثر
من مائة متر وتلف حوله حديقة كبيرة فيها انواع الاشجار
والنباتات المختلفة

وما نزلنا بالقصر حتى اتخذ كل منا حجرة ، وكانت حجرة
الكرونت وقرينته في الطبقة العليا ، اما حجرتي وحجرة ابنته
فكانت في الطبقة الاولى وكان لدينا في نفس الطبقة حجرة
كبيرة للمطالعة بها مكتبة فيها كثير من الكتب والمجلات
والمؤلفات كما كان بجانبها حجرة اخرى للموسيقى فيها كثير من آلات
المزف والطرب وهي التي ابتهجت لوجودها اكثر من اى شئ آخر
اهضينا بعد وصولنا يومين ونحن لننتقل بين حجرة المطالعة

الى حجرة الموسيقى الى فناء الحديقة الى التجول في داخل القرية
الى غير ذلك من الجهات المجاورة مما لا يعمد النواحي القريبة
جداً — ولما كان مساء اليوم الثالث جاءني شارل وقال :
هل تحب أن ترافقنا ؟

الى أين ؟

لقد عزميت أنا ولوسي على الطواف طول نهار الغد بين الجبال
المجاورة وسترافقنا معدات الصيد والقنص ومنها الكلب الأمين
« بوني »

حسن . هذه فكرة جميلة واني سأكون سعيداً جداً

بمرافقتكما

أذن فيجب أن تستيقظ مبكراً

هو كذلك

وفي الساعة السادسة من صباح اليوم التالي كنا جميعاً شارل
ولوسي وأنا على تمام الالهبة وقد ارتدينا الملابس الخاصة برحلتنا
وحمل كل منا عصا حديدية مدببة الطرف لتسلق الجبال ثم بندقية
للصيد مع كمية من الذخيرة وكذلك فعلت لوسي لأنها كانت تجيد
الرمي بالرصاص كما حمل كل منا أنا وشارل حقيبة صغيرة فيها بعض

الاطعمة اللازمة لنا .

كان ضياء النهار لا يزال ضئيلاً لأن شمس الشتاء لم تسكن
تبرغ بعد وكانت اسلاب الليل البائس لا تزال تتشاكس مع أنوار
الفجر النابت فرأينا في تلك الساعة فرصة جميلة للاسراع باستقبال
ملك النور من أعلى رابية نصلها حتى نتمتع الطرف بمشاهد تلك
المركة المسلية بين فلول الجيش الاسود المنزول وبين طلائع
الجيش الابيض المنتصر

مددنا الخطا وأخذنا نفرس سفح الجبل بعصينا ولكننا في
الحقيقة لم نكن نستطيع أن نأثم الارض باطرافها المدينية
أكثر من عشرين أو خمس وعشرين مرة دفعة واحدة أي بمقدار
عشرين متراً تقريباً ثم تقف لنستريح بعدها قليلاً، ولقد عانينا من
الجهد في هذا التساق الشئ الكثير حتى تصدب منا العرق رغم
برودة الجو العظيمة، وكانت وعورة الطريق وكثرة انعطافها
وتعارجها عاملاً على زيادة عنائنا وخصوصاً كلما اعترضنا بعض
الحشائش الكثيفة التي كانت تضطربنا غالباً الى تحويل طريقنا في
تجاه آخر على انه مع ذلك كانت عملية الصعود هذه مع صعوبة
مزوجة بشئ من اللذة، إذ كان يخففها عنا تلك المناظر التي

تستجمع الالب وتسلب الفؤاد ، مناظر الجبال المتدرجة من قمة
 السماء الى حضيض الثرى مناظر تلك الاشجار والادغال المتناثرة
 بين الصخور والاطواد مناظر الطيور المفردة المهاجرة من اوطارها
 في الصباح الباكر تشجى الملائكة بنغماتها ونسبح باسم خالقها
 الكريم ثم مناظر تلك الاضواء البيضاء المتزجة بذلك اللون
 الأرجواني الذي يوقظ القلوب من مراقدها والنفوس من ثباتها
 يذكرها بسابق الفرام وسالف الحب .

استمر بنا السير حتى بلغنا رابية مسطحة مكسرة بالخضرة
 والحشائش السندسية ، فلقينا عليها عصا التسيار ووجهنا وجوهنا
 شطر الصباح نستقبل ملكة البهاء وحلية الأفق عندما تميد الى
 العالم بهجته وتمسح عن السكون سنة غفلته ، وما مر قليل من
 الزمن حتى رشقتنا بماسة من ماساتها المتلألئة فاهتزت لها القلوب
 طربا وسرورا ثم تبعها بلائها الالامة المضيئة واحدة بعد واحدة
 فكونت من ذلك عقداً طويلاً وتبت ذلك السعد بمقود آخر
 حتى اتت ترصيع جيد السماء بنحو طها الماسية البيضاء وما انقضت
 بضع دقائق حتى اتت نسجها وملأت السكون باشعتها بين
 البهاء والجلال

عز منا بعد ذلك على مباشرة أعمال الصيد فرفعنا البنادق بين
أيدينا وتقدمنا « بوبي » وقد شمع برأسه وأذنيه علامة أهبطه
واستعداده ولما كنا لازلنا في باكورة النهار ، وكانت هذه فرصة
ملائمة لمباغتة كثير من اسراب الطير المتنقلة من اوكارها فوق
سفوح الجبال ، ولا حظنا مرور بعض وحدات من الطير آتية من
الجهة الغربية ، لذلك ولينا وجوهنا نحو الغرب وأخذنا نتحين
الفرص بفروغ صبر ولم يطل بنا السير حتى سمعنا فوق رؤوسنا
أصواتا كثيرة وخشخشة خفيفة واسكن الضباب المنتشرا ذاك
عاقنا قليلا عن البت في الأمر الا أن الاصوات استمرت تزداد
ومنوحا كأنها كانت تقترب منا ولما تبيناها وجدنا أنها سرب
كبير من الطير المسمى « البجع » فسدنا اليه نحن الثلاثة المرمي ثم
دوي الجو بطلقات البنادق نحر كثير من ذلك السرب الذي جدد
في الطيران فلم نحاول مطاردته بعد ، وبينما كنا نحشو بنادقنا
بطلقات جديدة كان « بوبي » يجمع الغنائم من مساحة القتال ويضعها
جميعها في مكان واحد فاما احصيناها وجدناها تربو على العشرين
واحدة ، وهنا عرضت لنا صموبة وهي كيف تحمل هذه الطيور
جميعها فاننا ان تركناها تكون صفقة خاسرة . لذلك أشار شارل

الى « بوبي » ليعود الى القصر ويحضر ممة خادمين أو ثلاثة وما كان اسرعه الى فهم المقصود وتسهيلا لمهمته وربطنا في رقبته ورقة تشير الى غرضنا

تركنا البجع في مكانه بعد أن أوثقناه كله بحبل واحد وحولنا اتجاهنا الى الناحية المضادة وأخذ الطريق نزداد صعوبة لكثرة الاحراش والكتل الصخرية المنخفضة في تلك الجهة واذ كنا نتقدم في السير والحديث على ما حولنا يتبعنا من مكان الى آخر هب علينا نسيم بارد جمدت له شفا هنا فامتعضنا منه جميعا واوجسنا خيفة انقلاب حالة الجو ونحن في هذا المنقطع فنشرت هذه الفكرة سبحانه الحزن على وجه لوسي وحاولت ان اسرى عنها قليلا ولكن الخوف كان قد تملكها ولم ياهنا عن التفكير في هذه المسألة غير سماعنا لعواء بعض الحيوانات على قرب منا فعلمنا ان ثوران العاصفة قد اهاجها من اماكنها فأنشرت على رفاقي بالاستعداد لمنازلة العدو الجديد وبدأنا نسير بحيلة وحذر خوف أن يداهمننا بعض الحيوانات من حيث لا ندري فتكون العاقبة أشد سوءا وحيث كنا نقرب من احدى الصخور شعرنا بصوت أقدام فتيقنا أنه لابد أن يكون صوت اقدام حيوان مخفي والا اننا نطرحنا حولنا

فلم نجد شيئا فاهمنا المسألة ، ثم مضينا في مسيرنا ، غير ان لوسي
توقفت قليلا لتصلح رباط حذاءها الذي انحل وبينما كنت أتحدث
مع شارل في أسر هذه الجبال اذ سمعنا خلفنا طلقا ناريا يدوي في
الفضاء فتدققنا أنه من بندقة لوسي فاسرعت نحو الدخان المتصاعد
من جانب الصخور وما اقتربت منه حتى رأيت فتاة زاهلة تنقمقر
امام حيوان مفترس ضارى تسيل منه الدماء ويتحفر للوثوب على
عدوه وقد كشر عن انيابه وأطلق الشرر من عينيه ، وهنالم اتهمل
لحظة بل اسعفته برصاصات بنديقي ولحسن الحظ أصابته في رأسه
فأضعفت من قواه وجبروته وأرشد الى الوراء وكان شارل قد أطلق
في فاجئز عليه بطاقات غدارته واما أنا فعدت الى لوسي التي ملأ
الرعب قلبها وما لبثت ان سقطت على الأرض خائرة القوى فجلست
اليها أفرك لها يديها اللتين تجمدا تقريبا ولما استعادت رشدها
سألتها عن الخبر فقالت

بينما كنت اعالج رباط حذائي واذا بذلك الفهد مقبل على يريداغتيا الى
فما كان مني الا أن أفرغت فيه خرطوشي بنديقي ولكنهما لم يكفيا
للقضاء على هذا الحيوان المعتدى الذي صمم على الفتك بي ولما لم
يكن لدى وقت لحشو البندقة بطاقات اخرى فاني أيقنت بالموت

وتقهقرت وارتدت الفرار الذي لم يكن ليجهدينى نفعا بالطبع حتى
 أتيت الى يادولاند فكان على يدك نجاتى من هذا الموت المحقق
 فثكراً لك يا صديقى العزيز فذلك سميع ان انساه لك طول الحياة»
 عفوا يا لوسى فانى ما فعلت غير الواجب .

أقبل علينا شارل بعد ان قضى على الفهد وكانت الرياح قد
 هدأت والجو قد اعتدل فإشار علينا بالذهاب الى مكان البجع
 فاستريح هناك الى أن يمسي «يوبى» والخشم ولكن عز على ان
 نترك الفهد فى مكانه ولم نستفد منه بما يسارى جزءاً ضئيلاً مما
 احتاجنا من الغذاء فاقترحت أن نسلخ جلده ونقدمه للوسى ليكون
 موطئاً لأقدامها فى غرفة نومها تذكراً لهذا الحادث المروع ، وفى
 الحال انفضنا الفكرة وانتهينا من عملية السلخ حوالى الساعة الثانية
 عشرة تماماً ثم استأنفنا طريقنا الى البجع فبلغناه بعد قليل وكان
 قد وصل فى الوقت نفسه الخدم ويوبى . وآن وقت الغذاء فهياًنا
 الطعام ثم انتهت انفسنا بسفن هذا الطير فأعدنا منه شواء لذيذاً
 وبعد أن انتهينا من الطعام أبقينا معنا احد الخدم وارسلنا رفيقيه
 مع جلد الفهد وبقية الطير الى القصر ثم اخذتفا سنة من النوم فنهنا
 قليلاً فوق الخضرة واستية ظناً فوجدنا «يوبى» والخدام فى حراستنا

ورأينا قبل أن نمود الى القرية ان نجول جولة قصيرة فوق سفح
 الجبل نستنشق نسيم المساء العليل فإشار علينا التابع الذي معنا
 بالانتقال الى سفح الجبل المجاور الذي يوصله بالسفح الذي
 نحن فوقه جسر صغير من الخشب ، وهو أكثر جمالا وابهى جلالا
 فتبيننا نصيحة الخادم وكان اجمل ما رأيناه ذلك المجرى الذي يتحدو
 تحت هذا الجسر وقد ازدهت مياهه باللون الذهبي البديع الذي
 اعاره اياها ضياء الشمس الناريه

لقد مثلت الطبيعة في هذا المكان بستانا باهرا له من حسن
 الذوق وجمال التنسيق ما يحتذى به فلقد بهرتنا تلك المشاهد البديعة
 التي وجدناها تحت اظنا من كل جانب حتى لقد بدت على وجوهنا
 أزمة غريبة مختلطة من الاعجاب والدهشة والسرور والفرابة وعن
 علينا أن نحرم من التمتع بهذا الجمال الفتان فجلستنا برهة نتمتع بالطرف
 بما حولنا ويظهر أن الطبيعة حسدتنا وحقدت علينا فأبت الا ان
 تمكر علينا هدهونا وتعبث بأوقات هوائنا فاثارت علينا ريحاً صريراً
 عصفت له الزوابع وقصفت الرعود وانقلب الجو ظهراً على عقب
 وكانت طلائع الظلام قد اقبلت فخفنا ان يمسي بنا الوقت في هذا
 الجو الملبد بالغيوم فنفضل الطريق او ينالنا أذى فهمنا بالعودة الى

القرية ولكن السحب لم تمننا الا برهة وجيزة ثم سكبت دموعها
 سدوارا فاخذنا نعدو في سيرنا لعلنا نقصر من زحف
 شدتنا وكانت يتقدمنا « بوبي » فشارل فلوسي فاننا ثم
 التابع الذي كان معنا وما بلغنا الجسر حتى كنت تسمع لصوت المرور
 فوقه رنيننا شجياً كما كنت تسمع لصوت سقوط الامطار على
 خشبه أزيزاً غريباً ، ولكن باللهول فقد اشتد هذا الرنين وعلا
 هذا الازيز عند مرور لوسي من عليه وتبع وطء اقدامها فرقة
 هائلة انخرج لها قاي وكادت تنزعه من بين جنبي ، ثم سمعت صراخاً
 مؤلماً كان هو صراخها فقد اقتلعت الماصفة الجسر من طرفه
 الآخر وصار معلقاً من طرف واحد نثرت من فوقه لوسي
 وهوت الى قاع الهوة التي في اسفل الجبل حيث يجري النهر
 الصغير فاشتد انينها وعلا صراخها فحرت في امرى لحظة ما كان
 امرها على ، ولكن الكتاب الأمين الذي عاد على اثر الصراخ
 قد مهد لي سبيل حل تلك العقدة التي كنت اعالجها اذ ذاك فقد
 رأيته يلقي بنفسه من اعلى السفح في اتجاه لوسي فتبعته انا ايضاً
 وحذوت حذوه فألقيت بنفسى في نفس الاتجاه

القيت بنفسى ولم أكن أدري ماذا يكون مصيرى ولا أعلم

كيف فعلت ذلك ولكن العاطفة التي كانت تسرى في قلبي في ذلك الحين كانت تدفعني الى عمل شيء لا تقاذ لوسي من مخالب الهلاك وما كان هذا العمل الا السقوط وراءها فأما نجينا معاً وأما كانت نهايتنا واحدة ، ولكني مع ذلك كنت ارجح هلاكى قبل نجاتى وخصوصاً لو صادفتني بعض الصخور التي لا محالة تهشم عظامى على انه لحسن الحظ سقطنا في وسط المجري فوق بعض الحشائش النابتة فساعدتني هذه على تخفيف وطأة سقطتى ورغم ذلك فإنه لشدة العلو الذى هبطت منه والذى يقرب من مائة قدم فأنى لا قيم صموية هائلة حتى استطعت ان اسنقيم في سباحتى وما كدت ادير رأسى الغاطسة تحت الماء حتى لمحت لوسى تسكبح الأمواج المتلاطمة وهي تنخبط بينها والكلب الأمين يماونها على رفع رأسه فوق سطح الماء فأسرعت في سباحتى وكانت على بعد خمسة أمتار منى فلاحقت بها ومددت نحوها ذراعى ولما رأتني هدأت من صراخها ثم ابتسمت ابتسامة فاترة لم تلبث ان تلاشت بين طيات ما يحوطها من الفزع والاضول وبعد نحو عشرة دقائق كنت وصلت بها الى الشاطئ وبوبى يتبعنا وكذلك نجينا معاً ولكن الجهد كان قد انهكنا فدارت برأسى الارض وأما لوسى فقد غابت

عن الوجود فحاولت افاقتها وياشرت لها عمل تنفس مناعى بقدر
 ما استطعت حتى اثابت الي رشدها وعندئذ نظرت الي وقالت :
 « كم انت تديننى يا رولاند ، لقد احببتنى مرتين في يوم واحد
 وما املك انفسى غير حياة واحدة فهما ضحيت فأنى ان استطيع
 ان اكاثك على ما قدمت الي فلست قائلة لك غير كلمتى الاولى وهى
 شكرا لك يا صديقى ثم اعترف لك بعد ذلك بمجزى التام
 كلا انك تبالفين فى قيمة عملى يا لوسى ، وانى لا استحق كل
 هذا منك ولا يهمنى الا أن اراك سعيدة بحياتك بعيدة عن كل
 سوء وشر فاذا بلغت هذه الامنية فكفانى ذلك من الدهر نعمة جزيلة
 وما بلغت من حديتى الى هذا الحد حتى سمعت شارل يصرخ
 من أعلى السفح « لوسى - رولاند ... » فرددت على ندائه أن
 نجونا معا - نجونا .. نجونا ...

ودام سقوط الأمطار أكثر من ساعة ثم بدأ يخف قليلا
 قليلا حتى صار رزازا خفيفا فأخذت أفكر كيف الطريق الى
 الصعود الى سفح الجبل وهو أمر عسير علينا جدا فى هذا المكان
 إذ كان الانحدار اقرب الى العمودية منه الى الميل ، لذلك
 فكرت ان نسير قليلا بجانب شاطئ المجرى لعلنا نجد منحدرًا

في الجبل نستطيع الصعود منه . على ان هذه المداية قد تستغرق
 من ساعة ومثلها ساعة اخرى حتى نصعد الى سفح الجبل فيكون
 قد امسى بنا الليل وليس الاثق ثوب الظلام فيتعذر علينا وحدنا
 الوصول الى القرية . لذلك خطر لي أن أرسل شارل الى القصر
 ليأتي الينا بنجدة من هناك لنا من على سلامتنا . وكذلك فعل شارل
 وأما انا ولوسي فقد أخذنا نسير بجانب المجرى والكلاب يتبعنا
 يبحث عن منفذ خلاصنا ومضى على مسيرنا أكثر من ثلث
 ساعة حتي يئسنا من النجاة وأخيراً رأينا السفح قد تحول تجاه
 الشرق وأخذ يتدرج صاعدا الى أعلى فلمعت في عيوننا أشعة البهجة
 والفرح ولكن أسقط في أيدينا لما وجدنا اننا قد فقدنا عصينا
 المدببة ولما اعيتنا الحيل استعضنا عنها بأغصان بعض الاشجار
 المثينة النابتة بجوار شاطئ المجرى وبهاية الجهد والمشقة تمكنا من
 تسلق الجبل والعودة مرة اخرى الى أعلى سفحه حيث جلسنا
 ننتظر شارل تجاه الجسر المخطم وامامنا الخادم المسكين في السفح
 الآخر من الجبل المجاور

ولما كان باقيا على عودة شارل أكثر من ساعة وهي مدة طويلة
 ممله وخصوصاً على لوسي فقد بدأت أفكر كيف أمضى معها

هذا الوقت الطويل وكيف أسرى عنها هم ما نالنا من العناء واذا بي
 حائر في تفكيري قالت : اني اشعر بتعب شديد وبى حاجة الى
 النوم فكانت فكرة النوم أحسن حل راقى فوافقتها في الحال
 على ما طلبت ومهدت لها مرقدًا فوق الحشائش واستأذنتها ان
 اجعل ركبتى بمثابة وسادة لها ثم اسبات عيناها وغرقت في سبات عميق
 فى تلك الساعة اغمضت جفنى انا كذلك وصرت افكر
 فى اللذة التى انا فيها فيها صديقتى لوسى ، التى كنت اعد
 وجودى قربها حلما من الاحلام اراها بجانبى ورأسها فوق ركبتى
 وقد سكنت تحت حمايتى أنفاسها تلتقى بأنفاسى ودقات قلبها
 ترددها دقات قلبى ، وهما قد اصبحت تحمل لى فى قلبها اثرا
 حسنا فلما تبليه الايام وذلك بفضل الاعمال الباهرة التى هياتها
 لى الظروف اليوم ، أجل فتلك بشائر الظفر بنرامها وحوزة قلبها
 وبينما كنت غارقا فى بحار تصوراتى وخيالى اذ سمعت ضجة
 اصوات متعددة تتقدم نحونا ويضىء فى اتجاهها نور ضئيل فايقظت
 لوسى من رقادها وبشرتها بوصول النجدة وقرب السلامة ثم
 سمعت صوت شارل ينادىنى فأجبت ندائه وما كان أشد دهشته
 عند مارأينا مرة ثانية فوق السفح وأخذنا نتمنى جميعا بشوق

وسرورواوكان من بيت القادمين مع شارل ابوه الكونت فالتفت
نحوى وافدق على كثيراً من عبارات الحمد والثناء فشكرت له حسن
عواطفه وعنياته .

وأخيراً عدنا تفكر في أمر التابع الذي كان يرافقنا والذي
لا يزال باقياً في مكانه من سفح الجبل المقابل وبمسد تفكير قصير
اقترحت أن نقذف اليه عصا متينة يثبتها في جانب السفح الذي
هو فوقه ونلقى اليه بحبل يربطه من طرفه في العصا المثبتة ثم
نركز نحن الطرف الآخر من جهتنا ويتعلق هو بالجبل ويمسك
بيديه هذه القنطرة الجديدة وفي الحقيقة لم نجد حلاً سهلاً ولا
أسرع واحسن من هذا الحل وفي الحال تفذنا ونجحنا في مهمتنا
فحمدنا الله وعدنا جميعاً الى القصر وكان الكونت قد اعد لنا
سيارته في مبدأ الطريق المنتظمة من الجبل فخفف ذلك عنا نصبت
الذي كنا سنكبده في عودتنا .

وصلنا الى القصر فرأيت مدام دارتوى تستقبلنا على باب
الحديقة ومارأت لوسى حتي ضمتها اليها ثم ادارت وجهها نحوى
وقدمت الى مزيد عطفها وثنائها .

وبعد أن وصلنا الى القصر وأبدلنا ملابسنا بغيرها ثم استرحنا

قليلاً بدأ الكروت يستفهم مني عما حدث فأخذت أقص عليه ما جرى
وهو يدهش ويمجيب المخاطرات الهائلة التي كابدناها في ذلك اليوم
ومكثنا كذلك حتى دعانا الخادم الي طعام العشاء ، على أن لو سي
اعتذرت عن تناول شئ ما غير قليل من اللبن لأنها كانت تشعر
بحرارة غير عادية في جسمها تخافت أن يسبب لها الطعام ضرراً
وقد وافقناها على رأيها ، واشترت عليها بتناول بعض العقاقير الطبية
مؤقتاً حتى إذا لم يزل اثر هذه الحرارة في الصباح تعرض نفسها
اذذاك على الطبيب

لم امكث طويلاً بعد تناول العشاء حتى قصصت مرقتي
واسلمت نفسي الى سلطان النوم اذ كان عناء اليوم الماضي قد بدأ
يحال بجسمي

- ٥ -

في باريس

انقضى الليل وأصبح اليوم التالي فسألت عن لوسى فوجدت أنها ملازمة الفراش وأن الكونت أرسل في دعوة الطبيب لسبب ارتفاع درجة حرارتها عن أمس فاستأذنت في الدخول عليها فأجابت رغبتى فاستفسرتها عن حالتها وتمنيت لها خيراً ثم أردت الخروج فسألتني أن أجلس معها أحدها قليلاً لأنها تشعر بالوحدة ، ولا أ كذبك القول أيها القارىء الكريم انى أحسست وقتئذ كأن تياراً كهربائياً قد سرى في جسدى ، فلقد رأيت في عينيها رموزاً لم أكن أراها من قبل فهأهى تطلب الى البقاء معها وهأهى تشعر بحاجتها الى حديثي . . لقد كان شعورى اذ ذاك مختلطاً من السرور والالم والفرح والدهشة فكان شعوراً غريباً لا أدري كيف أصوره .

جلست الى مقعد بجانب فراشها وقد رأيت من الاوفق

أولاً أن أشد من عزيمتها وإن أهون عليها أمر مرضها ثم انتقلنا إلى الحديث في بعض الشؤون العامة وفي أثناء ذلك حضر الطبيب وبعد أن فحصها جيداً رأيت على وجهه علامة الالامى والحيرة ثم تقدم نحو الباب وخرج من الغرفة فتبعته أنا والكونت وشارل ولما وقفنا قال :

إنها مصابة بحمى أثر برد شديد تعرضت إليه وهذا النوع من الحمى يطول أجله غالباً ويحتاج إلى عناية تامة ولذا أشير عليكم بنقلها اليوم قبل أن يشتد بها المرض إلى مستشفى باريس حيث به من الوقاية والاعتناء ما يكفل للمريض سلامته من أخطر الأعراض

عندئذ قرر الكونت الانتقال إلى باريس في الحال ولم تمض ثلاث ساعات حتى كنا جميعاً هناك بالمستشفى فقضينا برهة مع لوسى ثم استودعناها رعاية الله وقبل أن أترك الغرفة وكنت آخر من خرج منها التفت إلى لوسى وأعدت عليها السلام فابتسمت ثم قالت :

لا تنسى يا رولاند زيارتي فسيكون فيها تخفيف لكثير من الالامى فأنخيت لها وأبدت عظيم تمنياتي في شفائها القريب ولم

استطعم ان أطيل الوقوف بعد لان الدموع كانت تترقرق بيني
اجفني فودعتهما وخرجت بسرعة والمبرات تسيل من عيني والقلب
يشتمل احتراقا .

آه ، ما كنت أنا لم وانما كنت أحب وكذلك فالحب والالم
شقيقتان بل هما توأمان متشابهان أينما وجد الأول وجد الثاني
الأول منبع اللذة والثاني منبع الرحمة فاذا امتزجا هذان المنصران
كونا رحيق العظمة وسمو المواطن ونبها ، وقد يكون الالم
أصل الحب لأنك تتألم فترحم فتحب او قد يكون الحب أصل
الالم لأنك تحب فتخلص فتألم ، كذلك كان الحب والالم شيئين
مفرغين في بعضهما فلا تعرف أيهما الاصل وأيهما الفرع بل
أنك لا تستطيع ان تفصل بينهما فهما شيئان منسكبان في بعضهما
ممزوجان مزيج الماء بالخمير .

بعد ان خرجت من المستشفى عدت الى منزلي بعد ان
تفويت عنه بضعة أيام وبعد ان انقضت عطلة عيد الميلاد استأنفت
دراستي في الجامعة وكنت أزور لوسي في المستشفى ثلاث او
أربع مرات في الاسبوع ولقد اشتد بها المرض القتال في أيامها
الاخيرة حتى لقد تجاهلت كل أهلها وأصدقائها فكنت اذا رأيته

لا تمييزاً من بين جسمها الناحل وغصنها الذابل فكان ضعفها هذا
وسوء صحتها مصدراً لأعظم آلامى فلم يكن يمضى على يوم
الا وأبكى من أجلها بكاء مرّاً الى ان تمصاني الدموع فأسكن
الى فراشى واستسلم الى النوم

مضى على لوسى فى المستشفى ثلاثة شهور طويلة حتى اعيأها
الضنى وهدأ السقم ثم أمدّها الله بروح من عنده فبدأت تماثل
الى الشفاء يوماً بعد يوم وقد زرتها مرة فقالت :

الا ترانى الآن أحسن من ذى قبل ؟

حقاً ، هذا صحيح .

نعم يارولاند ، لقد من الله على بالشفاء بعد هذا العناء الطويل
ولذا فقد نذرت ان أنطوع فى خدمة مرضى هذا المستشفى شهراً
كاملاً بعد تمام شفائى مباشرة قرباناً لله وحسنة عند المولى .

ما أطيب قلبك يا لوسى وما أقربك الى عمل الاحسان
والخير ، ولكن ألا ترين ان تلك الخدمة منهكة للقوى وخصوصاً
بعد مرض طويل ؟

قد يكون ذلك صحيحاً يارولاند ولكنى سأتحمله فوق
ما تحمات لان الاطباء يشيرون على بالسفر الى بلاد الشرق لأقضى

هناك مدة سأمضي معظمها في مصر ترويحاً للنفس وتجديداً لقواي
وقد يمتد غيابي الى عام كامل او أكثر ولذلك فاني برا بوعدي
قد صممت اخيراً على ايفاء ندري بمسند شفائي مباشرة .
هذا رأي جميل — ولم ألفظ غير هذه العبارة لان أفكاري كانت
تشبت منذ اللحظة التي علمت فيها بعزمها على السفر وغيبابها
عاماً في بلاد الشرق حيث لا سبيل الى رؤياها طول هذا العهد
المديد ، لقد شغلتنى هذه الفكرة واخذت أصور في الآلام التي
سأعانيتها من وراء غيبابها وانا الذي لم أكن أستطع الصبر يومين
كاملين بدون زيارتها — حقاً لقد صممت عند سماعي هذا الخبر
ولكني رأيت من اللياقة ان أرجىء التفكير في هذا الامر
موقتاً ثم استأنفت حديثي معها بزهة واستأذنتها وخرجت وانا
في حالة ارتباك شديد . . .

٦

في الشرق

انقضت الايام وحان موعد رحيل لوسي الى بلاد الشرق وقد وصلتني منها بطاقة تنبئني فيها بأن موعد سفرها سيكون في يوم ١٥ من الشهر الجاري فوضعت البطاقة امامي واخذت أفكر ماذا يكون مصير حي لها بعد هذا الغياب الطويل .

(لقد صرت أحبها حباً هو في الحقيقة لغز من ألغاز حياتي ما كنت اخافها ولا أفزع من رؤياها واسكني ما رأيتها الا وارتمدت وخفقت قلبي خفقاناً سريعاً ، وما لمست يدها الا وشعرت كأن سيالا كهربائياً قد سري في عروقي ، لا أدري كيف ذلك ولكنني اعلم انه هو الحب الكمين في فؤادي مصدر كل هذه الاعاجيب) ومع ذلك فلم تتعد علاقتي بها طول هذه المدة دور الصداقة والود ولم احاول ان أقول لها في يوم من الايام اني أحبها حباً هو غير صداقتنا ، في حين اني كنت اقرأ في عينيها وفي

حركاتها نفس ما أقرأه في نفسي وأشعر به ، وعلى العموم فسواء كنت مصيباً في نظري أو مخطئاً فاني أحببتها حباً لا حب فوقه فهي أملى من الحياة وهي رجائي في هذا العالم وهي التي من أجلها خاطرت مراراً بحياتي :

فإذا بمنمني اذن من منافعها في امر غرامي ؟ وماذا يؤخرني عن بها شكاة قاي ؟

هل اقف جامداً في مكاني ؟

هل تصنف شجاعتى امام خطابي لها في امر غرامي بها وانا الذى قذفت بنفسى من اعلى الجبل مخاطراً بحياتي من اجلها ؟ ! كلا ، يجب ان اتقدم اليها بقدم ثابت ونفس هادئة واكشف لها عن غطاء ذلك القاب الذى اقام فيه الحب هيكلاً ومعبداً .

وبينما كانت تساورنى هذه الافكار رفعت بصري نحو الحائط فالتقي بصورة ابى الراحل فارتددت الى الوراء وتمتمت قائلاً .
لا ، لا ، لا

لقد تذكرت انى لازلت فتى تعيساً شقيماً ، لا املك شيئاً من متاع هذا العالم غير نفسى فحسب ، ولقد فقدت أبى من قبل فقدت معه كل معين لدي في هذه الحياة وخرجت من بين يدى

اللهو شبابا منكوبا معدما ، أقف فأندب سوء حظي شاكيا
 فتألما من حيث لا تنفع الشكوى ولا يجدى الندم ، لا عزاء لي غير
 الأمل في وجه الله ، ولا سلوى لي عن آلام نفسي غير سعادتي
 بالفرام ، كيف أصل حياة فتاة سعيدة بين ابويها بحياة فتى مثلي
 لا يملك غير عبرة ساخنة يشيع بها الماضي الهنيء ودمعة حارة
 يسكبها أسي وحسرة علي تلك السعادة البائدة التي كلما هبت
 على ريحها ومرت بي ذكرها أثارت في قلبي لوعة لن تطفئ
 جذوتها المتقدة سيول العبرات والدموع ولكن سوف تكون
 عليها بردا وسلاما تلك القطرة التي لا يتلوها الا اغماض الجفون
 إلى الابد

هل ابشأ غرامي ووجدى ثم القيها بين أحضان الحب وأنا
 لا أزال أجهل مستقبل ولا أدري هل به سعادة أو شقاء ، هل
 ادعوها الى مناصفة الكأس وأنا لا أزال لا أستطيع أن أضمن
 كسب ما يكفل لنا هناءة حياة زوجية سعيدة ؟
 وأنه لجرم ، أنه جنون وطيش

عاملا كلا لا يغتفر بل وأثم عذابه مريبقي لي داءً عضالا
 على افناء حياتي ان أنا وقعت فتاتي المحبوبة في شرك غرامي

ثم سببت لها شقاء وتعاسة أبدية بعدمي وفقرى .
 أنا حقيقة سنسعد بحبنا ونهنا بفرا منا ولكن سنصير شقيين
 أيضا بقلة مالنا وهذا ما يوجب ايلامنا وحزننا

أنى وأن تحملت ذلك لانه امر طالما ذقته مرارا ولكنى
 لا أطيقه ولا أرتضيه لحبيبتى ، بل أنى لا أقوي على رؤيا لوسى
 تتألم وتحزن وهى بجانبى ثم أشعر فى الوقت نفسه أنى أنا الذى
 سببت لها هذه الآلام والاحزان ! انها افطاعة ووحشية ،
 هل اختطفها من بين احضان سعادة أبويها واقدفها بين مهاوى
 العوز والفقر لأنى أحبها وقلبى دنف بها ؟ لا ، أنها لقسوة ، أنه
 اظلم أنه الحب يعمى ويصم ، فإله احمدك وأشكرك أن ارشدتنى
 الى الطريق الصواب وأنى اسألك يا ألهى أن تلهمنى الصبر وتخفف
 عنى الألم

وما دام لم يعد أمامى من دراستى غير اليسير فلا أضبر تلك
 البقية أيضا ولا رى ماذا يكون المال وكيف يكون المستقبل
 حتى اذا أمنت أرزاء الشقاء وعوادم الدهر تقدمت بنفس مطمئنة
 وقلب ثابت وقلت غير متردد ولا خائف أنى أحببك يا لوسى ،
 أنى قد اوقفت عليك حياتى فبيديك شقائى أو نعيمى .

طويت بطاقة لوسى ولما لم يكن يبقى عن موعد سفرها
غير يوم واحد فأنى قد عزمت على زيارتها فى نفس اليوم ثم
أودعها أخيراً فى ساعة رحيلها فى المحطة ، وفى الساعة الخامسة
ركبت عربة من منزلى الى قصر الكونت وارسلت بطاقى إليها
فاستقبلتنى فى فناء الحديقة فحييتهن ثم جلسنا الى مقعد وأخذنا نتحدث
عن الشرق وأهله ومصر وعجائبها ، أهرامها وآثارها ، مجدها
السالف وعزها التالذ ، كنت أحدثها وكان قلبى مشطورا الى
شطرين بين عامل اسى وعامل سرور ، الاول لفراقها والثانى
لرؤياي لها .

استمرت تقص على برنامج رحلتها وأنا صامت صاغ لا
أحول بصرى عنها وقد خيل الى ان اركع تحت قدميها اناجيتها بما
يكفيه لها قاي ويكتمه فوئادى ولكنى تذكرت ذلك العهد
الذى قطعته على نفسى فى الصباح فتجلدت وتناسيت آلام نفسى
حتى انصرفت من عندها على ان اراها غدا فى المحطة ، وعند منتصف
الرابعة تماما من اليوم التالى كنت اراها تلوح بمنديلها الابيض
من نافذة القاطرة المبتعدة حتى توارت عن الانظار فشيعتها بدمعة
حارة سقطت على خدى تتبعها حرة مرة كادت تفتت كبدى



المناجاة

عدت من المحطة وقد ظننت أني تزودت من رؤيا الوسى بمؤونة
حسبتها تكفيني أياما طويلة حتى يتمضي الله أسرا كان مفعمولا ،
ولكن ما عثمت أن فرغت جمبة زادي وصارت بذور الشوق
والوجد تنمو سريعا في قلبي يوما بعد يوم فأصبحت أفكر في ذلك
المستقبل الطويل ، في الشهور المديدة التي قد تمضي ولا استطاع
رؤيا صديقتي فيها !

لقد ساءت حالي وأخذ التفكير مني مأخذه ونال مني مناله
لقد تألمت وتألمت كثيرا جدا .

آه ما ظلمك أيها الحب فكما بك من حلاوة فأن فيك مرارة
وكما تمنح من سعادة فأنك كذلك تبلي بالشقاء :

لقد أصبحت الساعات أطول منها في كل يوم كما أصبحت
لا تمر دقيقة حتى أهتف باسمها في قلبي وأردده بين حنايا فؤادي

برديداً محزناً مؤثراً ولا يحل المساء حتى أُنَاجِها نَجاءاً أخال أن اللسيم
تَلَوهُ معي والرياح تشدوه مثلي حتى إذا ما أُنَهَكَنِي الجهد آويت
إلى غرفتي منفرداً حزيناً .

أه ، أين أنت يا لوسي الآن ؟ هل أنت تسيرى الهوينى بين
الرياض والحدايق تحزى الورد بحمرة خديك وتنجلى النرجس
بسواد عينيكَ أم هل أنت تقتطفى الأزهار تُلثِمُها بثغرك الجميل
وتُلثِمُها لغة غرامك أو تستقى منها رحيق الحب ؟

أين أنت الآن هل أنت سائرة على تلك الشواطىء الضحلة
تنظري الأمواج المائتة وهى تشمخ بعظمها عجا و قوة حتى إذا
رأتك أخذت تهادى نحوك وتقدم إليك إلى أن تتلاشى عند
قدميك ؟ أم هل أنت متكئة إلى وسائد الرمال الذهبية مسترسلة
فى عالم الخيال تشيدى قصور السعادة والهناء ؟ أم هل أنت تنظرين
إلى الشمس الفاربه تمسحها من وجنتيك بلونها الأحمر الفتان الذى
يكسبها ثوب البهاء والجمال ترين إلى القمر تزوديه بانوارك الساطعة
وأضوائك المنيرة ؟ أم هل أنت تسمعين نغمات الطيور المغردة وهى
تشدو بحمالك وتتغنى بحسبك :

أين أنت يا حبيبتي الآن ؟ هل أنت بين فراشك حيث اقت للظهر

معبداً وللمفاف هيكلاً أوقفت عليه روحى وحياتى . أم هل انت
بين كتبك تستزيدين علماً وحكمة وانت فى فيض من الحكمة
الالهية ؟ ...

هل تذكرين ساعات قضيناها مما وقد عقد الحب الكامن
شفاهنا فأنا سانا كل شىء حتى الكلام فكانت نظراتنا وابتناساتنا
هى حديثنا الناطق الشهيد على اقوال قلوبنا وافئدتنا، هل تذكرين
تلك الايام يا لوسى ام هل اتستك هيبة النيل وعظمة مصر الخالدة
كل شىء ؟ :

ابن انت يا لوسى اراك ساهرة فى سكرينة الليل ترسلين انفاسك
مع النسيم الليل ليحيط بها ارجاء الجو ام تراك تتأملين رسم فتاك
على صفحة الخيال ؟ ذاك رسم لم يعد كما تعهدين او تعرفين فاقدم
انحلاته آلام الوجد والغرام وسحقه عذاب البعد والفراق .

هل تسمعين يا لوسى صوتى الضعيف المتألم الذى ارسله اليك
على جناح الاثير ؟ هل تقرأين شكواى التى اخطتها على وجه البدر
فى كل مساء وعلى جبين الشمس فى كل صباح ؟ او هل تسمعين
اصوات البكاء والنواح وهى ترددها الطيور والعصافير : او هل
رأيت دموعى المتشعبة بخاراً المتكاثفة سحباً فى علياء السماء وهى

تخفى وجه الشمس عن احياء هذا الكون :

ايه حبيبتي : ألسنت سامعة من وراء هذه المسافات الشاسعة

التي تفرق بيننا ندائي ونحيبي ، وناظرة ضعفي وسقمي : او ليس

من تموجات هذا الاثير سلسلكا كهربائيا ينقل اليك مواجعي واحزاني

اين انت يا حياي الآن : ابتهمجي وانتعشي فانتعش لسعادتك

واحيا لاجلك ؛ صلى من اجلي فأبرأ من اسقامي ، ابتسمي ثم ارسلي

قبيلة حارة على جناح النسيم فتملأ قلبي بحرارة الحب وتبعث في

بقوة الغرام .

آه اين اراك واجدك الآن يا حياي

اه ما اقوالك ايها الحب وما اضعفني

ذلك بعض النجاء الذي كنت اردده في كثير من اوقاتي

وما كانت كل كلمة منه غير سهم ينفذ الى سويداء قلبي فيقتير لواجه

ويدمي اشجانه فلم يهنا لي عيش طول هذا العهد فصرت فريسة

لا لام هو اجسى في اليقظة وغم لباغيات احلامي في المنام ، ما كان يهدأ

لي مضجع ولا فراش ارق في ساعات ليلى تفرغني تلك الانتفاضات

المروعة التي استفيق منها فأجدني وحيداً بين جدران غرفتي
جالساً بين فراشي أفكاري موجعة وقلبي سقيم ونفسي منفردة
وعلى هذا المنوال أستمر في الحال لا أجد لي من عزاء أو سواي
غير الهموم والأحزان إلى أن أقبلت الأيام وعاد.....
أراك تواقاً إليها القاريء الكريم إلى أن تسألني عن حياتي في تلك
الفترة التي قضتها لوسي بميدة عني ، ولكن عذراً جديلاً أن
لم أكتب غير سطور قليلة لأن صحيفة حياتي اذ ذاك هي صحيفة
مؤلمة هي صورة جليلة لحياة شخص بأثس تعيس ، فلا ترى بين
سطورها غير عبارات الالاسى والحسرات ، هي صورة لحياة شخص
اعتزل العالم فأصبح لا يرى فيه غير نفسه ولا يعرف غير شخصه
تجاهل الناس جميعهم وانكروهم ولم يتعرف بواحد منهم غير شخص
واحد فقط ، لعله هو عامل البريد ، رسول الغرام وحامل
لواء السلام .

ولكن ماذا كان بتلك الرسائل التي كان يحملها ؟ انه لم يكن
يميزها عن سواها غير انها كانت مسطورة بأنامل لوسي ومكتوبة
بخط يدها هي رسائل صديقة لصديقتها أو صديق لصديقتها ، ليس
فيها غير اخبار مصر ووصف عجائبها وصفائف من تاريخها ، فيها

عجيب لنيلها وتشويق لرؤيا آثارها ؛ ذلك كل ما بها وكله نعرفه
بين السكتب وفي التاريخ : تلك هي رسائلنا في ذلك الحين
وهي بعيدة عن عالم الغرام وسماء الحب فهي رسائل جافة
بالنسبة لقلب ملتهب تحمى فيه حرارة الوجد

سافرت لوسى ولم تكن تدرى اى نار هي التى تتقد بفؤادى
من جراء فراقها ؛ لقد احببتها حباً فى درجة المباداة ، حباً دونه
الموت ومع ذلك فانى حتى تلك الساعة لم احدها او اكتب اليها
ولم تحددنى او تكتب الى الا كما يتحدث الصديق لصديقه او
يكتب الصاحب لصاحبه

سافرت لوسى الى مصر وفى القلب أنة وبالعين دمة ، أسبلتها
ساعة ان ألقيت عليها آخر نظرة والقطار يبتعد عن باريس
نحو الجنوب

هل أراها مرة اخرى ؟ وهل ألتقى بها بعد اليوم ؟
سؤال هو فى الحقيقة جوابه فى عالم الغيب ؛
على ان الايام شامت ان تجيبنى ولكن بعد مرور شهور
طويلة فقد عادت لوسى الى الوطن المحبوب وها انا اراها بعد
غياب اكثر من عام ونصف !!

عادت اوسى فزالت بروياها آلامى ونسيت عنائي!
 عادت اوسى فها هو قاي يستقبلها بالبهجة والسرور!
 عادت اوسى وهامى نفسى تحدثنى ان ابدأ معها حياة جديدة!
 عادت اوسى فلترى مادبرته الحوادث بيننا فى الايام المقبلة...





النجاح

عدت الى منزلي في يوم من آواخر شهر اكتوبر وانا ممتلي
سرورا وارتياحا فاقدت انهييت من تأدية امتحاني النهائي واصبح
طريقي لآبواب الحياة العملية قاب قوسين أو أدنى فجلست الى
مقعد في الشرفة المطلة من حجرة نومي وكان الليل قد أرخى ثوبه
الأسود الذي أخذ يبيض قليلا قليلا بين ضياء الهلال المشرق فأثار في
نفسي هبوب الليل المهيّب ذكري الماضي فأخذت اراجع صفحاته
وأعود بحوادثه الى سالف العهد فذكرت أيام طفولتي وكيف
قطعت المرحلة الأولى من دراستي بمدرستها الصغيرة ثم كيف
انتقلت الى جامعة باريس وكيف زدت اسرة الكونت دارتوي
لاول مرة وكيف رافقتهم الى قرية قارن في عيد الميلاد وهنا ذكرت
حوادث رحلتنا الجبلية وكيف مرضت بعدها لوسي بتلك الحمى
القتالة ثم انها قضت عاما بعد شفائها بمصر وكيف تألمت في غيابها

تلك الآلام المرة وكيف اعتزمت مرارا مفاتيحتها بسر قلبي وكيف
 انني ترددت ولم ألتخذ من قوة الأفرام مشجعا لي وعونا على فتح
 قلبها وحوزة فؤادها — ثم ذكرت كيف أني صبرت على آلام الحب
 طول هذه السنين الطويلة حتى بلغت امنيتي من الحياة الدراسية
 ولم أعدأهم للموزأ والفقر فلقد انتمت دراستي وثقتي في النجاح عظيمة
 فأن أسعدني الحظ فأنى سأجد اسمي بين أسماء الفائزين على صفحات
 الجرائد في خلال أيام قلائل . وبينما أنا كذلك أعود مع الماضي
 واطارد المستقبل غارق بين احلامي اللذيذة سائح مع أماني الحسان
 غلبني النوم قالتزمت فراشي وشماني ثبات عميق

في صباح اليوم الثالث لتلك الليلة استيقظت من نومي وبعده
 أن تناولت طعام الافطار وجلست اتناول فنجانا من القهوة اذ اقبل
 الخادم والقي بين يدي صحف الصباح ومن بينها صحيفة الطان وهي
 التي تعودت أن أقرأها اولا وبينما كنت اقلب صفحاتها واذا بمنوان
 ضخم في العمود الثالث من الصحيفة الثانية بهر بصرى فوقفت
 عنده واذا به : —

﴿ نجاح باهر ﴾

أعلنت أمس جامعة باريس أسماء الطلبة الفائزين في الدكتوراه لعلوم الحقوق والعلوم الاقتصادية فكان من بينهم نابغة كبير حاز لأول مرة درجات لم يسبق أن نالها مثله في السنين السابقة فاستحق أعجاب أساتذته وقد حاز شرف الأولوية على أخوانه ونال ميدالية الشرف الذهبية كما استحق أيضا مبلغ الثلاثة آلاف فرنك التي كان قدمها (دوق بريتاني) لتمنحها الجامعة لمن ينال ارفع الدرجات في هذا الامتحان وهذا الطالب هو المسمى : (رولاند ديون) فتهنئته بفوزه الباهر كما تهني فرنسا بفخر ابنائها . وقد تلامس رولاند في فوزه الطلبة الآتية اسماءهم وهم حسب ترتيب درجاتهم حضرات المسمى الخ هذا وستقام حفلة توزيع الشهادات في الساعة التاسعة من صباح يوم الاثنين ١٢ نوفمبر

لم يكند يقع نظري على هذا الخبر السار حتى صحت من اعماق

قاي (شكرا لك يا الهى لقد تم فوزى وتحققت آمالى) وأنى لا
أخالك أيها القارئ الكريم الامقدرا أما اصابنى من السرور اذ ذاك
لم افورغ من تلاوة الصحيفة حتى اسرعت نحو مكتبي ثم
امسكت بقلمي ولسكنى للفرابة نسيت الغرض الذى عزمت
على الكتابة من اجله ثم تذكرت بعد برهة انى كنت انوى كتابة
دعوة لصديقي (لوسى) لتتناول معى الشاي بمنزلى على انى استعصمت
ان تكون هذه الدعوة بعد مضي حفلة المدرسة أى بعد يوم ١٢
من الشهر القادم

لذلك القيت القلم من بين اصابعى وفي صباح يوم ١٢ نوفمبر
قبل ان اقصد دار الجامعة كتبت اليها الدعوة الآتية : —
عزيزنى لوسى .

انى سأكون سعيدا جدا ان اراك غدا فى منزلى تتناولين
معى الشاي فى الساعة الخامسة مساء اذ لدى حديث هام أحب
ان اقيه على مسامعك ، وانى انتهن هذه الفرصة فابشرك بفوزى
فى امتحان الدكتوراه كما اعلنت صحيفة الطان ذلك الاسبوع

المخلص

للماضى ... الى الملتقى ما

روالاند

والحقيقة انى عزمت ان أحدثها عن حبي لها فاني لم أصبح
أطلق على كتابه مسبراً بعد ، واقد تعمدت ان أفوه عن نجاحي
بين مسطور كتابي لثقتي بأنه سيكون له أثر حسن في نفسها
ويرفع من شأنى في عينها .

أخذت أفكر بعد ذلك كيف تكون مقابلتى للوسى ،
وكيف أفاتحها حديثى فتواردت على ذهنى أفكار عديدة ولما حرت
بينها وكلت امرى اخيراً للظروف وطرحيت التفكير في هذا
الأمر جانبا .

توجهت الى دار الجامعة حيث اقيمت حفلة توزيع الشهادات
في منتصف الساعة العاشرة وقد افتتحها مدير الجامعة وألقى
خطاباً شيقاً نالنى فيه نصيب وافر من الثناء ، ثم هنأنى المدير
والبمنى مدالية الشرف الذهبية كما سامنى أيضاً حواله مالية باسمى
على بنك « الكريدى ليونيه » بمبلغ ثلاثة آلاف فرنك ، وهنا
وقفت انا ايضاً وشكرت المدير وحييت اساندة الجامعة وطلبتها
كما شكرت لدوق بريتانى هبته لتشجيع المجدين ، وبعد ان وزعت
الشهادات جميعاً انتهت الحفلة في منتصف الساعة الثانية عشر

في اليوم التالى قصدت المصرف فصرفت منه المبلغ وبينما

كنت سائراً في طريق عرضت لي فكرة استعصمتها جداً وهي
ان أقصد في الحال محل تجار الجواهر وأشتري منه هدية ثمينة
أقدمها الى « لوسي » عند زيارتها لي اليوم بصفة تذكاري لذلك
اليوم او التاريخ الذي سيكون مشهوداً في ايام حياتنا .

لذلك أسرع وركبت سيارة أوصلتني الى محل جواهر
مشهور كنت أعرفه من قبل بشارع دي بيرون . . فانتقيت منه
سواراً جميلاً مرصعاً بالماس والياقوت أعجبنى شكله وكان ثمنه
ستمائة وخمسين فرنكاً فدفعته وأعدت الى منزلي في منتصف
الرابعة في انتظار حضور لوسي حيث جلست الى كرسي كبير
« فوتيل » وأمسكت بسيجارة من سجاير هافانا وأخذت
أدخن وقد تركت انفسى عنان التفكير في أمر استقبال صديقتي
وكيفية مصارحتها بفرامي بها . . . ولقد شعرت في بادئ الامر
بضعف امام تنفيذ هذه المهمة وشعرت بروح التردد تتمشى في
نفسى حتى لقد فكرت في أن اكتب لها رسالة أودع فيها كل
ما في قلبي من الحب والوجد حتى اذا ما حضرت عندي قدمتها
اليها فتكفيني مؤونة مشافحتها في هذا الحديث ولكني وجدت
أخيراً ان هذا الرأي سخيف ويدل على ضعف العزيمة والارادة

قطرحته من مخيلتي نهائياً وعزمت عزمًا أكيدًا على خطابها
هنا لفهم

مكثت أمدخن مدة وإذا بالخدام قادم نحوي ينيشني بوصول
مدمو ازيل «لوسي» فأصرعت اليها وقابلتها عند باب غرفة
الاستقبال فأنخنت وحييتها وقد بادرتني بعبارات التهنئة على فوزي
في امتحان الدكتوراه وكانت علام السرور بادية على محياها ،
انتقلنا من غرفة الاستقبال الى الشرفة البحرية من المنزل
حيث كان أعد لنا الخدام مائدة الشاي وكانت تطل على منزه
جميل يجري فيه جدول فضي فكان المنظر ساراً مبهجاً .

أخذنا نتسامر في الشئون العامة هنيئة لاحظت في خلالها
ان لوسي كانت شاردة الفكر وأنه لا بد وأن يكون هناك ما يهمها
أو يشغلها على اني أهملت سؤالها عما تمنيه من الافكار خوف
ان تتألم وكذلك استمرينا في احاديثنا العامة على ان شعوراً داخلياً
كان ينيشني أنه الفرام الذي تمنى كستمه وهو الذي يسمع في عينيها
هو الذي شرد بافكارها فتفاءت خيراً ، ولم تمض بنا نحو نصف
ساعة حتى كنا فرغنا من تناول الشاي ثم عدنا الى مكاننا الاول
من غرفة الاستقبال حيث رأيت صديقتي قد أخرجت من

حقبيتها الصغيرة علبة من القطيفة الحمراء ففتحتها وقدمتها
الى وقالت :

هذا الدبوس أقدمه اليك كهدية تذكراً لفوزك الباهر الذي
كان له أوقع أثر من نفسى ولذلك فاني قد حفظت ورقة دعوتك
اليوم ضمن أوراق الخاصة تذكراً لهذا الظهور السار ، وهنا امتلأت
نفسى بشراً وسروراً وتقبلت منها الدبوس شاكراً آمينوناً وكان
ذهيباً به فص من الياقوت الأحمر على شكل زهرة جميلة والحقيقة
انه كان ذا رسم بديع اجتذبنى اليه فتأملت فيه ملياً فاذا هو
منقوش عليه كلمة « الحب Love » وهى تتخلل أغصان الزهرة
فابتسمت وقلت :

هذه بشرى ابتهج لها قلبى

ماذا ؟

انه مكتوب على هذا الدبوس كلمة الحب وهذا الاختيار منك
دليل على أنك صديقة مخلصه لى
هو كذلك .

صديقة ومحبة أيضاً ؟

فسكتت وقد علا وجهها حمرة الخجل فأكسبها جمالا فتنا

وأرخت طرفها وعلى شفقتها ابتسامة حلوة لذيذة.

وهنا لم أملك عواظني فمددت يدي وامسستها من اناملها

الوردية ثم قلت لها بصوت متهدج خافت:

انى أحبك يا لوسى ، بل أعبدك فلقد اخترق سهم جمالك

قابي منذ الصغر فما ممتزجا بفراحمك دنفأبك ، اننى ماكنت أوشق

الحياة على الموت هذا المهد الطويل الامن من اجلك ، انك أنت

مالكة قيادى وسالبة فؤادى بل أنت حياتى وفيك مماتى

فهل أنت كذلك يا لوسى تحببني وهل يسعدنى الحظ بهذا

النعيم الابدى

سكت وسكت الفتاة هنيهة ثم قالت :

« انى أحبك يا رولاند ايضا بل أنى افضلك فى الحب »

ثم تملكنا سكون عميق وقد مكثنا على هذه الحال

ساعة صامتتين قانعين كل القنوع بنظراتنا التى لم يحوها

أحدنا عن الآخر ، معيدين كل السعادة اذ وجد كل منا الآخر

فى النهاية

بمدبرة هة قتت من مجلسى وعدت ومضى السوار الذى

أعزمت اهداءه لها فقدمته اليها وقلت وهذا تذكارى لك لليوم

الذي فزت فيه بأكبر فوز في حياتي ألا وهو احراز قلبك الطاهر
فابتسمت وتناوانته مني وهي تردد عبارات الشكر ولغة الغرام
تظلل صفحة وجهها فسالت من عينيها قطرة دمع حارة عندها
ذرفت عيني مثلاً فتأثرت تأثراً شديداً وانحنيت نحوها فقبلتها
قبلة حارة كانت هي أول زهرة من زهرات غرامنا !!؟

آه ، القبلة ما أحلاها ، إنها تلك الأنة الخفيفة التي تسمعها
عند تلاقى الشفاه فتطرق أبواب القلوب حيث تهتز لها اهتزازاً
هي قطرة عذبة تحي الأثمة ويوقظ سقوطها المهبج ، هي طريق
عروج الأرواح الى عالم الملائكة والوحي ، هي تاج الغرام فوق
رءوس المحبين ، بل هي الطريق المختصر لمناجاة النفوس والدليل
الساطع على اخلاص القلوب . .

حقاً ما كان أسعدنا قبلة ثملت فيها بنشوة الغرام لحظة ثم
التفت وقلت

أرأيت يا لوسي كيف ان دمعينا قد التقى معاً . ذلك فال
حسن على اننا سنتجد معاً يوماً ما اتحاداً أبدياً ؛

ويدنا كانت الدقائق الحسنة تمر كالبرق ساد بيننا سكون
آخر عميق بحيث كنا نسمع في خلاله دقات قلبينا ، أخيراً تحولت

اليها ونظرت الى عينيها اللتين كانتا تلمعان بضياء الغرام في
حين ان صارت يديها بين يدي حارة فجأة وأخذ نبضها
يضرب بشدة

خاطبتها بصوت متقطع ولكن بسرعة

لوسى ، اننى احبك فوق كل شىء كما تعلمين ، وانك تحبيننى
كذلك وهذه حالتنا منذ البدء كما يخيل الى ايضا اننى أعلم ذلك ،
ولعمري ما فائدة الكلمات اذا كان بيننا ما هو أقوى من الكلام
وأبقى منه ، انك وأيم الحق لى كما انا لك واذا كان الامر كذلك
فاننى لا استطيع ..

فقاطعتنى بحالة مؤثرة قائلة :

انى احبك يارولاند . آه انى اجد هذه الكلمة مبتذلة
قديمة اريد لو استطعت انى اجد كلمة اخرى تعبر عما يخالج ضميرى
بحوك ، ولكن اذا كان لا يوجد غير هذه الكلمة فثق يارولاند انى احبك
حبا دونه الموت فتأ كدانى لك وانى سأحيا لك واعيش من اجلك
وحدك . وهذا عهد على لك واشهد الله والملائكة عليه ثق انى
احبك . احبك يارولاند حبا لم تشعر به امرأة من نحوك ولن
يشعر به أحد . آواه ليتنى أجد كلمات او أفعل شيئا ابرهن به على

اخلاصى لك وغرامى بك . وبينما كانت تتكلم سمعت ساعة الحائط
تدق الساعة فهمت بالانصراف وهى تقول كنت اود ان امضى
معك وقتا أطول لولا ان والدى فى انتظارى لمرافقته الى مسرح
التمثيل . ولكن نق انى سأكون لك دائما . فشيئتها بنظرة
ملؤها السرور والالم وكذلك تصليت عيني فى أثرها حتى توارت
عن بصرى ...



السعادة

مكثت برهة مكانى بعد ما خرجت لوسى وأنا لا أدري أين
 أنا لأننى كنت انتقلت الى عالم آخر هو عالم السعادة والغرام ؟
 السعادة ؟ هى اسم لسمى لا نستطيع وصفه أو تعينه فهى
 ليست بشئ مادى ملموس يمكن أن نراه أو نلمسه ، ولكنها هى
 سر خفى بل شعور ليس له حد ، وهى كائن سماوى لا يتيسر لنا
 وصفه أو تصويره فهى اللذة وهى الهناء وهى الحزن وهى الآسى
 وهى كل شئ

معانى السعادة متضاربة مختلفة ومع ضيق من تحديد هافانى
 أستطيع أن أقول أنى كنت أشعر بأنى سعيد ، سعيد جداً بل
 أسعد مخلوق فى العالم فى تلك الساعة ، لا أدري كيف ذلك وقابى
 كان يلهب حقدًا على الزمن الذى مضى سريعاً وفؤادى كان يتألم
 المأسيد الآن الفرصة التى سنحت له فيها مناجاة لوسى لم تطل أكثر

من ساعة قصيرة . . كيف أكون متألماً أكون سعيداً في وقت
واحد؛ ذلك ما يحماني أرى في السعادة معنى لا يدرك وسراً بعيد
المنال، أجل ولكنني كنت سعيداً لأنني فزت نهائياً بالقلب الذي
طالما تأقت الى مناجاته نفسي من زمن بعيد . . .

لم تبرح خيالي صورة حوادث اليوم الفائت طول المساء، بل
لقد عاودتني في أحلامي فما أنا أرى رفيقتي ومعبودة قلبي بجاني
تبث الى شكوى غرامها وأبشها مكنون قلبي، ها هي تقسم لي
قسم الحب المقدس وها أنا أهب لها حياتي حتي الأبد، كذلك
كانت صور الامس بين يدي طول الليل بل وأصبح الصباح
وهي ماثلة في خيالي كأنها حدثت منذ هنيهة حتي صرت أشعر
اني لم أعد أطيع صبراً على مفارقة صديقتي ساعة واحدة ولذا
رأيتني فجأة اسطر لها الرسالة التالية وهي أول كتاب أخطه في
حياة غرامنا الجديدة :

عزيزتي لوسي

كانت الساعات التي قضيناها أمس مما هي مانائي في الحياة
من الهناء منذ وجودي في هذا العالم حتي اليوم . لقد خدعت قلبي
مراراً في حبه وما كنت أدري أن فؤادي يستطيع أن يتحمل

كل هذه السعادة التي منحتموها لي أمس ولكن روحك القوية ،
 روحك التي هي من روح الله هي التي أمدتني بهذه القوة العظيمة
 التي خلقتني من جديد وصورتي منذ البداية ماذا أقول وأنا أرى
 ان كل كلمة أسطرها لا تفي بالغاية التي أنشدتها ولا تعبر عن حقيقة
 ما في نفسي فاذا سطرت اليوم فهي سطور سقيمة عالية .
 أن لا أحب لغة خاصة لا تعرفها غير القلوب لذلك كان عبثاً مني
 أن أضطر اللسان الى التعبير عن هذه اللغة التي هي ليست من
 الفاظه .

لقد أحببتك يا لوسي منذ الصغر حتى بات حبك عنصراً من
 عناصرى ومادة من مواد حياتي بل هو حياتي كلها لا عنهما مرتبطة
 به ففناؤهما في فنائه وبقاؤهما في بقائه ، واقد ظلمت نفسي واشقيتها
 طول السنين الماضية بابطائي في بك شكوى فؤادي وما كان يعزيني
 اذ ذاك عن شقائي بعض العزاء غير اني كنت أراك من حين الى
 حين في مجالسى ومجتمعاتي فاسمع من حديثك ذلك الاسلوب الجميل
 والنعمة السحرية وأرى فيك تلك الروح العميقة الساكنة التي
 طالما ملكت على مهجتي وفؤادي ، فشبه قاي ونما على تقديسها
 فيك وكذلك سيبقى بقية الحياة .

لا تفتني على ان انا لم اُطِيب لك جمالك وحسنك في حديثي وهو
عادة الامر الذي تبتهج لسماعه نفوس الحسان لان نفسك السامية
وروحك الشريفة التي تملكك على فؤادي قد اهتني عن كل شيء
سواها . لذا فلكم كنت اراي سعيداً كلما سبحت لي فرصة
الجلوس معك ساعة فأستشف فيها من بين غلائل نفسك أسرار
هذه الروح الملكوتية التي هي من روح الاله والتي تستمد
حكمتها من حكمته ، وفوق ذلك فإنه مع اعجابي بالجمال الشكلي
فأني أعتقد أنه في المرأة كالزهرة اليانعة أجاها الى حين فلا تلبث
أن تدبل وتفي او هو كالاطلاء على الحائط لا تزال تعيث به الايام
وتنال منه يوماً بعد يوم فتتفيء من بهجته قليلاً قليلاً حتي
يزول تماماً ، وأما الجمال الروحي فإنه دائم لا تزيد ضرور الايام
الاجدة وهاء فهو ينمو بالتجارب ويزهر مع الاعوام
عزيزتي :

لا يستطيع الغني ان يكون صديقاً للفقير ، لانه يحتقره ويزدرجه
فلا يرى فيه فضيلة يصادفه عليها ، كذلك لا يستطيع ان ينجح يد
ابنته لشاب فقير لانه يرى انه يدنس شرف ايها ولو كان من
اهله قال انه يشقيها ويقتس حياتها ، لذلك عندما اراد اهلي خطبتك

لي منذ بضعة اعوام رايت اباك يحجب بالرفض : لا لاني اقل
منه شرفا وأصلا ، وإنما لأنه غني ثري يحمل لقب كونت وانا فقير
معدم ليس لي من الالقاب والرتب شيء ولقد رأيت من المجاملة
وحسن اللياقة ان لا يحجب هذا الجواب دفعة واحدة فأجاب اجابة
هي خليقة بالضعيف قليل الحياة .

اسمحي لي يالوسى أن أقول ما في نفسي بصراحة لأن لي
ضمير يحاسبني ويؤنبني ، لذلك وجدتهني يا صديقتي إثر هذه الحادثة
أعلنت أنني لم أكن أحبك اولا لم يكن لدي فكرة او رغبة
الاقتران بك فمعتبت علي وقتئذ والدتك وكثير من الناس وقد
تكونين أيضا علمت بشيء من ذلك فمعتبت علي في نفسك
وتزعزعت ثقتك في علي أن الحقيقة كانت غير ذلك فأنى ما صرحت
أنى لا أحبك الا لأدرا سهما رماه في صدري ابوك واحافظ علي
كرامتي التي اراد والدك ان ينتهرها . يمينا إن قلبي ما كان الا يتقد
بنار غرامك ولو استطاع لا رسل لهب نيرانه الى ذلك اللسان
او الشفتين اللتين اعلنا أنكار حبك زورا وبهتانا ولقضى
عليها قضاء تاما . ومن أجل هذا يالوسى أقسمت في نفسي قسما
لا يحله الا الموت ان لا اطلب من أبيك يدك الا بعد أن اطلبها

منك وتمنحها الى ثم الا افعل ذلك الا في الساعة التي يراني فيها
الناس قادرا على اسمادك واسمادى .

أرأيت يا لوسى وكيف ن الحب عظيم وكيف يكون الله
عظيما وكيف انه يحب الى النفوس العظيمة والرفعة ، لقد كانت
لي آمال كبار وأملات حسنة وكانت نفسى تتأوه بمطالب الامور
وجلائها فلم يكن التصريح ابيك اثر في نفسى الى هذا هو طريقها في
الحياة بل ما كان هذا الرفض منه الا ليزيدنى عزيمة على عزيمتى
وطموحا فوق طموحى اى اكون عظيما كما كان يظن ابوك
نفسه عظيما ، بل أريد ان اكون اكبر من ذلك ، لان اباك عظيم
بأثروة فقط واما انا فأنى اريد ان اكون عظيما بالمال والعلم والاجاد
وما انا ارى الله ممي وسيمكمل آمالى بالنجاح اخيرا كما كالمها
فى الخطوة الاولى من حياتى واسوف يتم على نعمته مادام
فى العمر بقية .

لوسى ، انى ما رغبت فى هذه العظيمة من أجل نفسى فحسب
بل من أجلك أيضا لتفخرى بها بل ولتفخر بها أبوك حتى لا يقول له
قاتل انه منح يد ابنته لرجل فقير معدم ، ذلك هو ما دفعنى اليه الحب
الذى هو منبع العظيمة ، ولكن الا ترين الان يا لوسى ان فى نصريحى

الماضي من أني لا (احبك) مزية نجنيها اليوم ، لقد أصبح هذا
 الاعتقاد سائدا بين الناس فهو سيممي ابصارهم عنا ويهدم مكائدهم
 عن مناوأتنا ففسد بحبنا وهدأ بغرامنا الى أن يدبر الله من أمرنا رشداً
 ثم اني لم اكن اتأخر عن مفاتحتك أصرح بي ومبادلتك عبارات
 غرامي الا لأنك كنت صغيرة السن وقد كنت أخاف عاقبة
 الخيبة وان تردني بالخسران لأنني اعتقد ان كل نبات يزرع في
 ارض غير أرضه او ساعة غير ساعته فهو اما ان تأباه الارض
 فتنبذه واما ان ينشب فيها فيفسدها ، لذلك تأخرت حتي كانت
 ساعة أمس ، التي افضيت فيها اليك بأسرار قلبي ، تلك الساعة
 التي ستظل ذكرها حية الى الأبد استمد منها قوتي وعزائي
 في الحياة وأتأس بها من وحشتي في القبر

لوسي : هل لك ان تسمديني اليوم بمثل ما سمدتيني به أمس .
 ان قاي يناديك ومهجتي تتوسل ليك فهل ستكوين
 عند أجلي في كرمك وثقتي في رحمتك ، لوسي : أني اتضرع اليك
 ان تهينني ولو دقيقة واحدة أمتع فيها بروياك واسمع فيها نغم
 كلماتك المذبة ، اني في انتظارك في مثل ساعة أمس ومثل مكان
 البارحة ؟
 رولاند

ما كانت لوسى لترد تضرعى اليها ورجائى عندها فلقد
 حضرت فى الساعة المضروبة وقضينا مدة كانت من أهنا
 أوقاتنا وكذلك تعددت مقابلاتنا بعد ذلك اليوم تارة فى المنزل
 وأخرى بين حدائق باريس ورياض ضواحيها وما جاورها من
 القرى والمدن وطورا فى دور تجميلها أو مسارحها وهكذا سمعنا
 بحياتنا عدة أيام كانت تطفح علينا فيها اسباب الهناء والنعيم ..

الخطيب

في يوم ٢ أغسطس دق النليفون بشدة فهرولت اليه أرى
 ما الخبر ورفعت السماعه الى أذني فسمعت صوت «لوسى» يناديني
 فسألتها عما جرى فأجابتنى بتأفف وبصوت متهدج أريد مقابلة
 حالا في هذه الساعة لأمر هام وأني في انتظارك في محل «فانون»
 الحلواني وفي الحال احضر لي الخادم سياره وركبها وبمد نحو عشر
 دقائق وصلت المكان المين فرأيت صديقتي جالسة الى أحدي
 الموائد مكبة برأسها الى صحيفة أمامها وكان يبدو على وجهها علامات
 الغضب والحلق كما كان لونها شاحبا أثر حالة شديدة من الحزن
 والالئم ، عند ذلك خفق قاي وتمشت الى نفسي روح الخوف والريب
 فلما أقبلت عليها حيثها فوقفت وسامت على وضغطت على يدي
 قايلا بخلاف عادتها كأنها تريد أن تقول أنني اليوم أشد في حبي
 مني في يوم آخر .

جاءتنا وسألناها عن امرها فأجابت :
 انهم يريدون ان يقضوا على سمادتنا ويسحقوا قلوبنا
 من ذا يفعل او يحاول ان يأتي ذلك ؟

الى ا

وكيف ؟

انه يريد ان يزوجني من فرنسوا روستان
 وماذا كان جوابك له ؟

طبعاً الرفض التام !

وماذا كان رده على ذلك ؟

انه متمسك برأيه وغير متنازل عنه رغم معارضة والدتي له
 وما الذي يدعو به الى ذلك وعلام يفضل فرنسوا عن غيره ؟
 يقول انه ثري كفيل بسمادتي وان اباه صديق له

يا لها من سخافة وادعاء كاذب : متى كان المال وحده كفيل
 بمساعدة شخصين لا يربط قلبيهما حتي ولا رابطة وداود عطف ؟
 ولكن ماذا قر عليه رأيك يا صديقتي ؟

اني طلبتك لاستشارتك والبحث عن افضل الطرق التي

تتخذها الزاء ذلك :

المسألة تحتاج الي تفكير وروية

لا ، اننا نريد الاسراع في البت في الامر فأن أبي يزعم أن
حفلة الزفاف ستكون في الاسبوع الاول من الشهر القادم
على الاكثر .

ولكن ألم تحاولي ردع ابيك عن فكرته وماذا كان جوابه
لوالدتك .

قلت انه مصمم على رأيه واذالك ارى انه يجب ان نفر من وجهه
هل انت موافقة على فكرة الهروب وترضى الفرار من فرنسا؟
نعم ذلك هو ما خطر ببالي

وهل انت مستعدة لمقابلة جميع المشاق والمصاعب التي قد
تلاقينا في طريقنا مع العلم بأنه ليس لدينا من المال ما يكفينا بضممة
أسابيع في بلاد اجنبية ؟

نعم ، على أتم استعداد وستجد منى انسانا قويا قديرا على
مصارعة متاعب هذه الحياة وتمهيد سبيله فيها !
وانا ايضا يا لوسى على أتم اهبة .

اسمع يارولاند ، انى احبك حبا هو منتهى ما يتصوره حى على
هذه الارض ، انى لا اريد ان اضحي بهذا الحب ، انى لا اريد قلبا

غير قلبك وانى يكون له بديلا ، أنك كل شىء لى فى الحياة ، فبالله
هل وثقت منى ؟

وهنا قاطعتها

هدنى من روعك وخفنى من حدتك فأنى عند قدميك قد
وهبت لك حياتى فلا تتصورين أنى أعيش بمدفقتك ساعة واحدة
فأنما أنا فقط حتى من اجلك واستمد قوتى وحياتى من روح غرامك ،
فهل يداخلك ريب فى ذلك ؟

كلا ، حاشا ان يحدث ذلك :

اذن دعينا نمرود الى موضوعنا الاول فأى البلاد تفضلين
السفر اليها ؟

انى ارى ان نرحل الى القارة الامريكية فهي بلاد واسعة
الارضاء لنا فيها ما أمن من دسائس الاعداء ومتسع من الاعمال
ذلك اختيار حسن فعملينا اذن ان نستفهم عن موعد اول
باخرة تبجر الى ميناء نيويورك او غيرها من الموانىء الامريكية
فى هذا الاسبوع او الذى يليه :

لقد استفهمت قبل وصولى هنا وعلمت ان الباخرة « بون

فوياج »

ستبحر في منتصف الساعة الخامسة من مساء يوم الاثنين من
الاسبوع القادم من ميناء الهافر ثم الى نيويورك .
اذن فلدينا وقت كاف انهيء هذا كرسى السفر والتصريحات في
خلال هذا الاسبوع وسأبدأ في ذلك من صباح الغد ثم نساfer
في اول قطار يغادر باريس من صباح الاثنين القادم فنصل الى
ميناء الهافر في منتصف الثالثة مساء اي قبل موعد ابحار السفينة
بساعتين .

هو كذلك واني اودعك الآن يارولاند وموعدا غدا في
نفس هذا المكان في مثل هذه الساعة ثم حيتني وانصرفت .



كان كل مالدي من النقود في ذلك الوقت هو مبلغ الفين ومائة
فرنك وهي الباقية عندي من هبة الجامعة سندفع منها الباخرة نحو
١١٠٠ الف ومائة فرنك والسكة الحديد من باريس الى الهافر نحو مائتي
فرنك ثم نشترى منها بعض الاوازم الضرورية لسفرنا مثل تليسكوب
وبعض الاطعمة والسجاير بنحو ثلثمائة فرنك ثم نصرف منها ايضا
في اثناء سفرنا نحو خمسين فرنكا ومثلها في الباخرة فتكون جملة

مصرفا تناحتي وصهولنا الى ميناء نيويورك هي الف وسبعمائة فرنك
ويكون الباقي معنا هو مبلغ اربعمائة فرنك لا غير وهو مبلغ وان
يكن يسيرا فهو يكفيننا عشاء الجوع وشر الله حتي نجد عملا
نكتسب منه

قدرت هذا الحساب في خيالي بينما كنت سائرا في طريق
الى المنزل وفي صباح اليوم التالي عجلت بالذهاب الى مكتب الباسبورت
وبعد ذاك قصدت مكتب شركة البواخر الفرنسية حيث اشتريت
تذكريتي وحجزت لنا محليين بالدوجة الثانية بالباخرة ابون
فوياج» وكذلك تم كل شيء تقريبا

وبعد يومين من ذلك استلمت تصريحات السفر ثم اشتريت
ما رأيته ضروريا من لوازم رحلتنا وفي صباح الاحد اعددت حقيبة
ملابسي الصغيرة لاني لم اشأ اخذ شيء كثير من الامتعة حتي
لا يضايقنا في سفرنا ، وفي مساء ذلك اليوم قابلت لوسي بمحفل
«فانون» حيث قضيت معها ساعة ثم انصرفنا على أن يكون موعدنا
غدا الساعة السادسة صباحا بفناء المحطة . . :

١٢

في السفينة

في الساعة السادسة وربع تماماً من صباح يوم الاثنين اغسطس
 اخذت مقمدي باحدي عربات الدرجة الثانية وجلست لوسي
 الى جانبي وفي منتصف الساعة تماماً تحرك القطار من مدينة
 باريس الجميلة وكان الجو رطباً وتملؤه بعض السحب الكثيفة التي
 انقضت بعد ساعة تقريباً ثم بدأ الكون يمسح عن عينيه سفنة
 الكرى وقد اطلت الغزالة من خدرها تضيء الفضاء بشعاعها الذهبي
 فكنت تري على اليمين والشمال من نهر السين سهولاً متسعة
 ماضرة وحقولاً خضراء وقد تري سرباً من الاشجار او بعضاً
 من الاحراش الصغيرة وهي تتخلل المساحات الواسعة كما ترى
 من بعيد السهل المنحدر على شاطئ السين من الجهة اليمنى
 بالخط الحديدي .

وصلنا مدينة روان في منتصف الساعة الحادية عشرة وكان

الجو صحوً أقيدت المدينة تحت اشعة الشمس وزرقة السماء كأنها قطعة من الفردوس تجلب الانظار ببهاؤها على ان القطار لم يمكث بها طويلاً فقد غادر المحطة بعد خمس دقائق من وصوله اليها وقد كنا وقتئذ نطالع من نافذة الراكبة واذا بربرة اخذت ترتفع من بين الحقول الخضراء واستمرت تظهر قممها شيئاً فشيئاً ، رأس برج ثم اطراف بضمة اعمدة رخامية بيضاء ناصعة تحقنا منها بواسطة التاسكوب بأنها مقبرة احدي القرى القريبة وان هذا البرج هو للكنيسة المجاورة لهذه المقبرة .

من بين هذه القبور التي ادخلت في قاي انا ولوسي شعور التجلية والاحترام لها استلفت نظرنا قبر كان معلقاً فوق الارض يحمله تمثالان من الرخام على شكل ملاكين لهما أجنحة موضوع عند رأس كل منهما اكليل من الازهار فيه دائرة من الورد الاحمر تقاطع مع خط من الازهار البيضاء .

فقلت لوسي :

الست تشعرون بشيء لرؤية هذا القبر ؟ انه يؤلمني وجعل قلبي يخفق له خفقاناً سريعاً .

أجل ، ان شككه يدعو الى الاهتمام ويشير الى ان وجود مثل

هذه الاكالييل فوقه دليل على ان الميت فتاة عذراء كانت تحب

فان الورد الاحمر دليل الحب والابيض دليل المناري .

يا لها من مسكينة بائسة مخلصه في حبها وفيه لطيفها ، اني

لم اتالم قط اخيرها بمثل المي لها .

هذه حقيقة يا لوسي لانك تشرفين الآن عليها بين القبور

آه ، يارولاند اني اخاف ، اني ارتعد

لاتخافي ودعي عنك ذكر القبور والآن ممتي الطرف بمناظر

الطبيعة البديعة او تعالى نجلس لنقرأ صحف اليوم فاني قد احضرتها

معي من باريس .

ولم تمض بنا بعد ذلك مدة طويلة حتي سمعنا صفير القطار

يؤذن بالوصول

وما هي غير برهة حتي وقف عند رصيف محطة الهافر

فانزلنا حقيبتينا احدهما لي والثانية للوسي ثم فصلدنا توءاً المرفأ حيث

وجدنا السفينة راسية فمرقنا فيها حجورنا واسترحنا قليلاً ثم سرنا

نشاهد مناظر الميناء وقبيل الميعاد الممين لاجار الباخرة اخذ

الرصيف يزدحم بالناس من المسافرين والمودعين لهم وفي منتصف

الساعة الخامسة تماماً تحركت الباخرة تشيعها دعوات الاصدقاء

والاقرباء وترفرف وراءها مناديل الاحياء والمخلصين تبعث الى
الركاب تحيات الوداع ...



يرى المسافر برا أنه بين سلسلة مناظر متتابعة تسليه في
وحدته وتسامره في وحشته وتشعره بأنه لا يزال متصلاً
بطرف هذه السلسلة الاول بوطنه العزيز وبلاده المحبوبة وعلى
المكس من يسافر عن طريق البحر فانه يجد ان هذه الحلقة قد
انقطعت بمجرد وطء قدمه سطح السفينة فيشعر كأنه فصل عن
هذا العالم وانتقل الى حياة مملوءة تشكو كآثار مأمونة ، فيبته وبين
وطنه يم واسع مترامى الاطراف عرضة لمصف الزوابع وقصف
الرعد وهبوب الاعاصير والرياح حيث المخاطر والمخاوف
كذلك كانت حالي عند ماشيعة آخر اثر من ارض فرنسا
المحبوبة ، وهي تتواري تدريجياً وراء الابعاد السحيقة حيث اختفى
معمها أعز مالي في الحياة .

ماذا اعاني من المخاطر في طريقي وماذا الاق من حوادث
ومني اعود الى وطني المحبوب ، وهل لي نصيب في رؤيا ارضه

واهمه ، ذلك ما اجمله

ان في السباحة البحرية متسع عظيم لأهل الخيال لا رسال
افكارهم بين ذلك الافق الممتد حيث الهدوء والسكينة

ولقد كان من دواعي بهجتي ان اطل من نافذة غرفتي او
أصعد مع رفيقتي الى سطح الباخرة في الايام الهادئة ذات الجو
اللطيف فنقضى الساعات الطويلة نتمتع بنسيم الماء العليل كما نتمتع
الطرف بأسراب السحب الذهبية التي تشرف على الافق فتجديه
حرارة الشمس الساطعة ، او نراقب رشاش الامواج المتدحرجة
فوق صفحة الماء وهي ترغى وتزيد وتسير وتهادى وتتبختر حتى
تحتض تلك الشواطئ الجميلة

ولقد كنت اشعر بأحاساس لطيف عمتزج بالتجالة يملأ قاي
كلما نظرت من قمة السفينة نحو تلك الأغوار السحيقة والاعماق
البعيدة حيث ناوى فصائل الاسماك العديدة والحيتان الضخمة
وهي تغدو وتروح في عالمها الانهائي .

ولقد كان يذهب بي الخيال أحيانا الى التفكير في صنع
السفينة التي تخرج عباب الأمواج وهي ذلك الاختراع البشري
البديع بل تلك القطعة المحيطة من فخر الانسان التي اذعنت لها

الرياح والأمواج فوصلت بين أطراف المعمورة وربطت بين
 أهلها المتباينين ، وتبادلت بينهم خيراتهم المختلفة وأخصبت
 بلادا مجربة وأثرت أنما فقيرة ونشرت معارف الأمم القديمة بين
 أهل أختها الحديثة وكذلك عملت على ترقية العالم والاخذ بنواصر
 المدنية والعمران .

في اليوم الثالث لمناذرتنا ميناء الهافر أخذت السفينة تحف
 في سيرها وقد كانت السماء صافية والأمواج هادئة وبدأ يهب
 علينا فوق سطح الباخرة نسيم منهش من البحر الأيرلندي وقد
 كانت أضواء الشمس الشارقة أخذت تموه الأمواج بلونها
 المسجدي الجميل مما يهيج النفوس ويشرح الصدور كما زاد في
 بهجتها رؤية تلك الطيور المائية التي أخذ يكثر عددها فوق سطح
 المياه وهي تقفز من مكان إلى آخر وتطأ مقدميها قم الأمواج
 بدون اكتراث ثم لم تمض غير ساعات قليلة حتي سمعنا صيحات
 الهتاف والابتهاج بين الركاب النازين في ليفربول ذلك الميناء
 العظيم الذي يبدو منظره بديعا بين عدسات التليسكوب .

وبينما كانت السفينة تقترب من مصب نهر المرزي أخذت
 تجذب انظارنا تلك الأكواخ الجميلة المكسوة بالنباتات الخضراء

اليانعة والحشائش الهندسية ثم توالى ظهور مباني المدينة الضخمة
واستمرت أبراج الكنائس ومداخل المصانع تتدرج صاعدة
بمسارها الشاهق من وراء التلال المشرفة على الشاطئ فكان
المشهد غاية في البهاء والأبداع

واستمر الريح هادئاً والذسيم عيلاً حتى وصلنا الى لسان
من الارض وكان مزدحماً بالناس من المستقبليين وأصحاب المتاجر
والاعمال فأخذت الجموع المحتشدة تتبادل التحيات والتسليمات
ومنها من يسرع في خطاه يبحث عن صديق ومنهم من يقف
بفتة عند رؤية رفيق أو صاحب لم يره منذ مدة وكذلك مضت
ساعة على هذا الحال . . . ولما كان موعد السفينة أن تبحر في
صباح اليوم التالي فقد نزلنا منها وأخذنا نطوف في انحاء ليفربول
حيث رأينا مصانع القطن العظيمة ومخازن البضائع الهائلة
واحواض السفن التي تنبئ عن أهمية الميناء ليس في بلاد الانجليز
وحدها بل في العالم أجمع .

مضى على ابحارنا من ليفربول نحو ثلاثة ايام وبينما كنت
ولوسي نطل من النافذة واذا بها تشير بيدها الى شيء بعيد يطفو
فوق الماء وهي تقول :

أنظر . ما هذا انه يوعيني ويشير في قلبي الخوف ؟ !

فأجبتها ، لا شيء ولما لها قطعة خشبية تخلفت من بعض

السفن التي تشق عباب هذا المحيط في كل حين ، وفي الحقيقة ان

كل شيء كان يهكر على اليم هدوءه كان يبعث الى التفكير ويولد

المواجس ، ولما اقتربنا من هذا الشبح تحققت انه قلع سفينة

غارقة طبعاً وهذا من بقاياها بعد أن ابتلعها المحيط عن آخرها

في أعماقه البعيدة وكذلك استفرغ مني أثر هذه السفينة كل اهتمامي

في تلك الساعة .

تري أي سفينة هذه وما اسمها ؟ انه ليس هناك اي أثر يدلنا

على معالمها ولكن من المحقق ان الغرق حدث منذ زمان بعيد

بدليل تراكم هذه الاعشاب والحشائش واصداف الاسماك حول

قطعة الخشب ولكن اين ذهب بحارتها وركابها ؟ وهنا صرت

سحابة السكابة على وجهي وتملأ شعور الألم في فؤادي ، انهم

غالباً قد استشهدوا جميعاً بعد ما عانوا من الكفاح أشده ومن

النضال أعظمه ، فسقطوا جميعاً بين مخالب الزوبعة وذيول الرياح

ونهبتهم الامواج والحيتان والآن فلا بد ان عظامهم البيضاء تلمع

بين تلك الاغوار البعيدة

من استطاع ان يسرد ما داههم او يعرف ما نزل بهم
من القضاء :

لا احد بل قد أرخى عليهم النسيان اسداله ومحيى بصيغتهم
من سجل هذا الوجود

كم كانت التهديدات التي شيعت السفينة ، وك هي الصعوبات
التي صابت من أجل من فيها عند الرحيل :

كم من فناء او عذراء او زوجة او ام تزاجت على الصدقات
اليومية اعلمها تسلم من أمر شقية او زوجها او وحيدها من خبر
والكنها باءت بالخيبة وعادت بالحسرة والالام

كم اظلمت اضواء آمالهم بين طيات الشك وتشعم الشك
الى سحب الهلع والخوف الذي تحول الى اليأس التام .

وآخاه . ليس هناك من تذكر واحد نراه يد كرن بأهل
هذه السفينة المنكوبين وانما غاية ما نعرفه هو أن السفينة
ابحرت من مرساها ثم لم نعد بعد :

بينما كانت تساورني هذه الافكار لذكري السفينة الغارقة
كان الليل أخذ ينشر رداءه الاسود فوق السكون وكانت هذه
الذكريات بدأت تدب علائم الخوف في نفسي والكن ما لبثت

أصواء البدر حتى سطعت في كبد السماء فبهدت برؤياها كل آثار
 للخوف والريب ، فكشت ولوسى فوق سطح الباقرة حتى ساءة
 متأخرة من الليل ونحن نتاجى القمر ونستنبئه عن نوايا مستقبلنا
 وما خطته يد القدر لنا في الواح الغيب وما زلنا كذلك حتي دعانا
 سلطان النوم الى المثل في حضرة فذهبنا الى فراشنا حيث انتقلنا
 من هذا العالم وجلبته الى عالم السكينة والاحلام

وبينما كنا في سبانا العميق اذا بنا نهرع من اسرتنا ونسرع
 الى ارتداء ملابسنا على اثر اصوات مزججة وصراخ مفرع
 اصوات الاجراس نهدر في الفضاء والبحارة تنادى بعضها البعض
 والربان يصدر أوامره مسرعاً والمسافرون يتضرعون الى الله
 والاطفال يصرخون ويعولون وكذلك قد ساد الهرج والمرج فوق
 السفينة فدخل الرعب على لوسى وأخذت ترتعد فزعاً . . .

لقد كنا حوالى الفجر من صباح اليوم التالى وقد تبجحهم الجو
 بالسحب وانتشر ضباب كثيف فى الجو بحيث لم نكن نستطيع
 نظر الاشياء الا من خلال الاصواء الضيئلة التى كانت تنفذ الحين
 بعد الحين من بين شقوق الغيوم ومن المشاعل الضيئلة الباقية
 فوق سطح السفينة ، وقد بدأ الريح يهب من الجهة الشمالية

الشرقية بشدة وتحول الجو بفتة الى برودة متجمدة حتي شعرنا
برعشة تسري في أجسامنا وبعد لحظة نمالت أصوات الهول
والفرع والتوسل والرجاء واليأس والقنوط ثم ظهرت صخرة ثلجية
عظيمة من تحت الامواج فأضادت بيضاء ظلمة الضباب وسممنا
على أثرها صوت صدمتها الهائلة بمقدم السفينة التي فغرت فيها
ثغرة ينفذ اليها الموت مع سيول المياه التي أخذت تتدفق الى داخل
السفينة بسرعة وفي تلك اللحظة ارتعدت فرائصنا جميعا ودب
اليينا نذير الخوف وأخذت لوسي تلتصق بي من شدة الهول وترتم
ببضع كلمات أخذت تخنق بين هممة المويل والبكاء.

هنا غرقت بين الحيرة وبين الارتباك وكان بجانب أحد
الضباط الكنديين فسأته ما العمل ؟ فأجابني باستغراب وثبات
عجيب . الموت ! الموت ! . . .

عانت الاصوات وزاد الضجيج ثم سمعنا صوتا من جانب
الربان في الطرف الآخر من السفينة التي لم يبق عن أن تلثم مقرها
الاخير الا دقائق معدودة ، يقول الى قوارب النجاة . . . اقفزوا .
انزلوا اليها ، وكانت قد أنزلتها البحارة من أمكنتها الى سطح الماء
ولحسن الحظ كانت أضواء البحر قد اتخذت لها منفذا بين ثنايا

الضباب ، على أن رفيقتي في ذلك الحين كانت في حالة ضعف شديد بحيث لا تستطيع أن تحرك قدماً عن آخر وقد حار فكرى في حملها والنجاة بها ولا حظ الضابط الذى بجوارى علام الحيرة واليأس على محياى فتقدم نحو الفتاة وحملها بين ذراعيه وبمهارة مذهشة خطا خطوتين ثم قفز الى أحدي القوارب القريبة وكانت محاذية لنا تقريباً لان الماء الذى أثقل السفينة قد أسقط جزءاً كبيراً من قاعها تحت الماء ، فلاثت قلبى نشوة الفرح والسرور لنجاة لوسى وشكرت صديقنا الضابط من اعماق فؤادى ، ثم تذكرت أمتعتنا وحاولت أنقاذها ولكنى من شدة سرعتى ضللت عنها جميعها ولم أعر الا على السلة التى كنا أشرينها من ليفربول ، فتناولتها فى يدي ووثبت بها نحو القارب وبذلك صرنا نحن الثلاثة الضابط ولوسى وأنا فى أمان من الخطر الدائم والموت المحقق بالسفينة .

أخذ الضجيع يملو ويزداد وأسرعت الركاب الى النزول فى قوارب النجاة ومنهم من سقط بين الامواج والمياه فلقى حتفه ولم نكد نستقر فى القارب حتى أخذت أنا والضابط نجذب بهمة لنبتعد عن مكان الخطر فإنه لن تمضى برهة وجيزة حتى يشتر المحيط فاه ويتلع تلك السفينة لقمة سائغة ولا يبعد اذا بقينا فى مكاننا أن

فذهب بين الدولة التي ستحدثها المياه اذ ذاك ، وبعد بضع دقائق
صرنا على بعد مئات الامتار من السفينة المحتضرة ثم سمعنا حركة
هائلة اقشعرت لها الابدان وخارت لها القوى والفرائص فقد
رأينا السفينة تهوى بسرعة نحو قاع المحيط ومعها أصوات كثيرة
لم تلبث أن اختفت تحت أعماق الماء وقد انفجر اذ ذاك موقد
الباخرة عند اتصاله بالماء فأحدث فرقة هائلة وعلته سحب كثيفة
من البخار والدخان انضمت الى آثار الضباب المنتشر في الجو
فأقامت سداً بيننا وبين رؤية ما حولنا من مناظر الامواج المروعة
وقوارب النجاة التي تحمل الركاب الفارة أمام جيوش الموت ، ولم
نبعد قليلاً حتى هدأت الأصوات الصارخة فعلمنا أن السفينة قد
لثمت مقرها الاخير .



في قارب النجاة

أستمر تجديفنا أكثر من نصف ساعة ونحن لا ندري أين
طريقنا ولهبجتنا رأينا أشعة الشمس المنيرة تبدد بضوائها ظلمات
الضباب ثم سطعت الأنوار المشرقة فوق سطح المحيط فأعادت
إليه بهجته وجماله على أنه لدهشتنا لم نر حولنا أو قريبا منا ولا قارب
مما كانت معنا ونظرنا فوجدنا أنفسنا منفردين بين أرجاء هذا
الفضم الشاسع .

كنا على مسيرة يومين إذ ذاك من مرسانا نيويورك وقد
هالنا أن نجد أنفسنا وحيدين هذه المدة الطويلة في تلك الجهات
المجهولة ولا مؤونة معنا على أن الضابط الذي كان يرافقنا كان شجاعا
جريئا ذاق من أهوال المواقف والحروب الشىء الكثير فأخذ يصبرنا
ويسرد علينا من أحاديثه ومخاطراته العجيبة ما سرى عن أنفسنا
وشرح صدورنا وتذكرت السلة التي معنا ففتحتنا فوجدنا بها

زجاجتين من الكويناك وثلاث علب صغيرة من اللحم المثلج
وصندوقاً صغيراً من «البسكوت» وهذا كل ما كان لدينا من
المؤونة وهي الباقية مما اشتريناه من ليفربول فحمدنا الله فقد أماننا
بهذا الطعام القليل شر ألم الجوع ورتبناه على أن يكفيننا ثلاثة أيام
على الأقل بحيث إذا أكلنا لا نشبع وإنما نأكل لنضمن بقاءنا أحياء
في هذا العالم .

استمر بنا المسير يوماً كاملاً وكان الضابط لحسن الصدف يحمل
معه بوصلة بحرية أهتدينا بواسطتها إلى الطريق الصواب كما أنه
كان عالماً بفن البحرية لأنه كان ضابطاً بحرياً في الاسطول الانجليزي
الكندي فأخذ يقودنا القارب حتى جاء الثبات الأخير من الليل
فشعر بدوار في رأسه وارتفعت درجة حرارة جسمه وقد تحققت
بعد مدة من أنه أصيب بحمى شديدة ويظهر أن كبر سنه قد
أثر في قواه العصبية وأن برودة الليلة السابقة علاوة عن أنه لم يكن
لدينا من الاغطية غير ملاسنا التي نرتديها قد سبب له الإصابة
بهذه الحمى التي أخذت تشتد عليه ساعة بعد أخرى ومع ما كان
فيه من مرض عضال فإنه استمر بمدنا بأرشاداته المتواليّة عن سير
القارب الذي صرت أجذف فيه وحدي بينما كانت لوسي جالسة

اهل من اجل هذا الضابط المسكين على ان محالب المرض اخذت
 ينشب في جسمه بشدة حتى شعر بخطر الموت الذي احسق به
 فاخرج من جيبه قلما وظرفا وكتب بيده الرسالة لزوجه
 ناولها الى وقال اوصيكم ان تسلموا هذه الرسالة الى عائتي عند
 وصولكم نيويورك بالتمنوا ان المكتوب فوق هذا الظرف واني
 اسأل الله لكم السلامة فذرفت من عيوننا الدموع وابتهلنا الى
 الله ان ينجيها من دائه ولكن الموت كان يدب الى روحه ديبا
 متواليا فشحب لونه واسبلت عيناه وانتشر على وجهه جلال المنية
 ولم تمض هذبة حتى فارقت الروح صاعدة الى لقاء ربها الكريم
 فحنونا على اخاذنا وصلينا من اجله ثم اخرجنا من جيبه محفظة بها
 بعض الاوراق وساعة ذهبية وحوالة مالية بخمسمائة دولار على
 مصرف نيويورك ولم يكن لديه غير ذلك فربطها جيذا في منديل
 له ووضعتها في جيب مطني مع الرسالة ثم حملته بين يدي
 وواريته مشواه الاخير تحت الامواج المتلاطمة مشيما اياه بحسرة
 لا تزال تعاود قلبي حتي اليوم فبككت لوسي بكاء مرا فقد اخذ
 المنظر المروع بمجامع قلبها كما زرقت عيني الدموع بشدة
 اجل ايها الموت كم أنت قاس (لا قلب لك) ، تفرق بين

الأصدقاء والأحباء بلا رحمة ولا شفقة

نعم اننا نحزن على الاموات لاننا لا نريد مفارقتهم فحسب
قأى جرح نريد تضميده او أى حزن نهوي ان ننساه نرى انه
من الواجب علينا ان ندعه مفتوحا لا ينسدل حتى يظل المنا
داميا وحزنا باقيا على مصابنا الاليم .

فأين هي الأم التي تنسى راضية ابنها الراحل وهو الزهرة
اليانمة التي اختطفها المنون من بين يديها ، مع أن كل ذكرى
لديها كسهم مريش ينشب في صدرها .
أين الطفل الذي ينسى راضيا أبوه الرحيم مع ان بقاء
ذكرهما في فؤاده موجبا لحزنه وألمه .

من هو الصديق — حتى الذي يشهر بأن الحزن يسحق
قلبه سحقا — الذي يستطيع ان ينسى صديقه الذي أغزه وأحبه
حبا خالصا .

كلا ، لا يستطيع أحد ذلك ابدأ وكذلك كان حائنا مع هذا
الضابط فان حقه كان لدينا مصدرا لكثير من الامنا في
أيماننا المقبلة .



لم يبق بيننا وبين الوصول الى الشاطئ غير سحابة نهار
تنقشع ونرسو حيث الطمانينة والسلام فأخذت أجهد نفسي
في التجديف وبمساعدة البوصلة البحرية وارشادات ضابطنا الراحل
أمكننا أن نتقدم تقدما محسوسا في المحيط حتى كدنا نرى بصوبة
بواسطة التلسكوب قمم الجبال القريبة من الشاطئ الأمريكى
فسرى في قلوبنا نسيم الفرح وبدأت على محيا رفيقة علامات
الاطمئنان والهدوء وداومنا نكدر في السير ومن شدة شوقنا الى
الوصول حسبنا ان الدقائق لا تمر ، وهب علينا نسيم الماء فتمسشنا
أن نصل الى الشاطئ بعد غروب الشمس بساعتين او ثلاثة
بمعاونة هذا النسيم وكذلك كنا على وشك الانتهاء من
رحلتنا الشاقة .

واذ كان القارب يتقدم في فضاء المحيط رأينا عن بعد بين
تجاويف التليسكوب وبين أشعة الشمس الضئيلة طرف فنار
الميناء يظهر ويختفي بين الشواطئ القريبة فعلمنا الامل على أن
يكون ذلك هو فنار نيويورك وأن تكون تلك هى شواطئ

بلاد أمريكا الجميلة وقد قوي فينا الأمل بقرب الوصول رؤيتنا
 للأعشاب وفروع الأشجار المتراكمة هنالك حيث كان تيار الماء
 يدفعها أمامه تجاه الشاطئ، وبينما كنا نقرب من هذه المشائش
 لاحظنا ان لون الماء قد تغير فجأة وأصبح أكثر زرقة من ذي
 قبل كما شعرنا كأن قوة أخذت تقاوم المجازيف بين يدي ثم بدأ
 القارب يتحدر سريعاً في اتجاه التيار وقد ظننت أن في هذا المكان
 دوامة مائية او مثل ذلك فأوجست خيفة الفرق على أني تشجعت
 وأظهرت عدم الاكتراث لكي أشجع رفيقتي، وتشددت في
 التجذيف ولكن عبثاً حاولت تحويل القارب عن اندفاعه فقد كان
 يمزق في الماء صروق السهم من وتوه فتأكدت من وجود تيار
 مائي شديد في هذه الناحية وارتاعت لوسى من هذه المبالغة
 وأكبت برأسها بين يديها من شدة الجزع وأخيراً طرحت نفسها
 فوق سطح القارب ويظهر انها استسلمت الى نوم عميق . وثارت
 الريح قليلاً اذ ذاك وأخذ الماء يرتفع وينزل وشاشبه على وجوهنا
 حتي حسبت الموت قد أراد ان يظهر منفضه فينا ولكن هدأت
 حركة القارب وشعرت كأنه أخذ يسير بنظام في مجرى معين يشق
 ماء هذا المحيط وكانت الشمس قد غربت تماماً فصرنا في ظلام

دامس اللهم الا شعاع ضئيف تبينت فيه بكل صموبة وجهه
لوسى وعلمت من حركة أنفاسها أنها بحالة عادية فخدمت الله
وكان التعب والجهد نال مني مناله فأسندت رأسي جانب رأسها
وسألت الله حفظه ورعايته ثم أغمضت عيني وسار القارب
يتقدم في مجراه كما شاءت له الاقدار ان يذهب

وحوالى منتصف الليل استيقظت من نومي وكان التيار
لا يزال مسرعا والقارب مندفعاً معه الا أن أضواء القمر بدأت
تسترق مسالكها بين الضباب المتكاثف اذ ذاك جلست مكاني
وملت نحو صديقتي وأيقظتها برفق فأفاقت وقالت :
أين نحن الآن يا رولاند ؟

فبدأت من روعها وطمنتها ومددت يدي نحو زجاجة
الكنياك الوحيدة الباقية لدينا فناولتها منها قليلا مع قطعة من
بقايا اللحم المشوي وكذلك هدأت من هلعها وأخذت أبشرها
وأمنيتها بقرب سلامتنا

بعد ذلك بقليل كان كل شيء على مايرام فلقد أخذ الضوء يزداد
كما بدأ الهواء يكون منعشاً على أننا بعد برهة شعرنا بأن الجو
أصبح حاراً كما ان الماء صار يتدرج في الدفء قليلا قليلا حتى

تخيلات أننا في حمام حار أو قرب إحدى مدافئ الشتاء فتأوهت
 رفيقتي من شدة الحرارة فهونت عليها من أمرها وصبرتها
 ولكن الحرارة استمرت تزداد لحظة بعد أخرى حتى كادت
 تخنق أنفاسنا ثم رأينا أبخرة متكاثفة بدأت تملأ وجه الماء بالقرب
 منا وتكون فوقه سحباً متلبدة ، فمجببت لذلك وسأورتني أفكار
 عديدة خيفة أن نكون قد اقتربنا من بركان ثائر أو شيء من ذلك
 وهناك تكون الطامة الكبرى . على أني استبطنت وجود
 هذا الفرض لأنني درست طبيعة هذه الجهات فلم أعلم مما عرفت
 بوجود مثل هذه البراكين في هذه المنطقة وأخيراً تذكرت أنه
 ولا بد أن تكون قريبتين من مجرى التيار المسمى بتيار الخليج
 أو أننا قد اجتزنا جزءاً منه فترعرت إلى الله أن ينجينا من مخبات
 القدر ويعاوننا على اجتياز تلك المفازة المهلكة ، ثم أسرعنا إلى
 المجاذيف واخذت اجذف بهمة اليأس الفار من وجه العدو
 وحوات القارب تجاه الاضواء المتشعة التي كانت تسطع من
 قمة الفنار القريب واستمر بنا الحال كذلك حتى ما بعد الفجر
 وقد انتقلنا إلى منطقة أكثر هدوءاً واعتدالاً وقد زالت
 تلك الحرارة التي افحطنا منذ ساعات قليلة وما اشرقت الشمس

حتى رأينا الشاطئ، قريبا منا جدا فاضاء في قاي روح الامل
والسرور وقد وجدنا القارب يطفو فوق مياه خليج واسع جميل
حيث كانت اشعة الشمس الذهبية تنمكس على مياه الزرقاء فتكون
الوانا جميلة .

حمدت الله وهنأت لوسي بنجاتنا ووصلنا بسلام الى بلاد
اميركا . وانه قد انتهت آلامنا بعد ولم يعد أماننا ميرا عينا او يحزننا
واخذنا ننظر الى الشاطئ الذي لم يكن يبعد عنا باكثر من ألفي
متر والي ما بجانبه من القوارب الصغيرة وجموع البحارة والناس
بشيء من الشوق والسرور ثم شر بنامنا بقي في الزجاجة من الكونياك
والهمنا بقية قطع اللحم وكان الجوع قد طاف حول امعائنا ، ثم
اخذنا نصالح في ارتداء ملابسنا وتذكرت كيس نقودي فاخرجته
من جيبى وعددت مابه من النقود فوجدتها قطعتين من الذهب
الانجائزى وسبع قطع من الدولارات الامريكية ونحو
خمسة عشر قطعة فضية من الفرنكات الفرنسية ثم ورقة مالية
بمبلغ ثلاثمائة فرنك وهى التى كانت باقية معنا .

شدت ساعدي في التعذيب وأخذ الهواء النقي يجدد من
 قوتي ولم يحل وقت الزوال حتى بلغنا الشاطئ حيث اتجهت
 اليها انظار كل الجموع المحتشدة على الرصيف واستمروا
 ينظرون الينا بدهشة وعجب كأنهم يستفهمون من نحن ؟ ومن
 اين أتينا ؟ وكيف وصلنا الى هذا المكان . . . ؟



١٤

في أمريكا

وعند ما وطئت أقدامنا أرض الشاطئ، تقدم نحونا بحار
هرم وسألنا ان كنا في حاجة الى خدمة فشكرته لاننا لم يكن
لدينا من الامتعة والحقائب شيء فجميعها غرقت مع السفينة،
وقبل ان ينصرف تذكرت ان أنوط به حفظ القارب الذي معنا
حتى تستلمه شركة البواخر التابعة لها السفينة الغارقة فسألته
عن اسمه وأهمته عن مأموريته فتقبلها شاكرًا ووعدته ان أنقذه
نظير خدمته أجرًا كافيًا فاستبشر بحياه وعاد الى القارب ثم
أخذت ذراع رفيقتي في يميني وركبنا عربة من رصيف قريب
وأمرت السائق ان يذهب بنا الى أقرب مطعم ولم تمض عشر
دقائق حتي وصلنا الى مطعم كبير في الشارع المجاور حيث جلسنا
الى مائدة في زاوية منه فلما قدم الينا الخادم قائمة الاطعمة طلبنا
منه بضعة اصناف من اللحوم والخضراوات ثم الفواكه والحلوى

وزجاجة من النبيذ... الخ وفي الحقيقة كانت كمية ما طلبناه عظيمة جداً تكفى لأطعامنا بومين كاملين لا لأكلة واحدة ولكن الجوع القاتل كان صمم على تمزيق أحشائنا فلم نكن نستطيع ان نفدي امعاءنا بأقل من هذا الغذاء وخصوصاً بعد ان مضى علينا نحو ثلاثة ايام ونحن لا نتناول من الطعام الا بمقدار ما يتناول المريض من الدواء وبلغ ثمن ما أكلناه نحو ثلاثة دولارات ونصف وهو طبعاً ثمن غال بالنسبة لما لدينا من النقود القليلة على اننا تسامحنا لبطوننا في هذه الاكلة وخصوصاً بعد تلك الرحلة الشاقة وعزمنا على ان لا نعود الى مثلها حتى نصبح في سعة من العيش .

كان ههنا بعد ذلك ان نجد فندقاً تبين فيه ، لذلك ناديت سائقى عربية وسألته عن أسماء بعض الفنادق التي بالمدينة فمدلى منها الشيء الكثير واخيراً طلبت منه ان يبدلنا الى فندق لا يتقاضى منا أكثر من دولار واحد في اليوم نحن الاثنين ، فأذهب الخيل بسوطه وأخذت عجلات العربية تلف دورات سريعة ثم وقف بنا فجأة بعد نحو نصف ساعة أمام فندق اسمه « نيو انجلاند هوتل » فلما نزلنا أتقدناه أجره ثم صعدنا الى أعلى الفندق حيث قابلنا

مديره فجز لنا حجرتين من داخل بمضهما بسريين والفندق على العموم نظيف وأثاثه متوسط في الجودة وإن يكن جميلاً في الشكل وهو يقع في وسط المدينة تقريباً

بعد أن تسامنا غرفتنا فكرنا في خلع ملابسنا ولكن تذكرنا أنه ليس ممناً غيرها ولذلك قصدنا تواجلاً تجارياً في نفس الشارع الذي به الفندق فاشترينا ما رأيناه ضرورياً جداً لنا من الأردية وقد كلفنا ثمنها قيمة القطعتين الذهبيتين الأنجليزيتين اللتين كانتا معي ، ثم عدنا إلى الفندق فأبدلنا ملابسنا ، ولما كان التعب والنصب قد نال منا مناله فأننا رأينا عندئذ أن نريح أجسامنا بقية هذا اليوم وكانت الساعة إذ ذاك في منتصف الرابعة ولم يمض قليل حتى غرقنا في سبات عميق . .

أشرقت الشمس وملأت بأضوائها أرجاء الفضاء عندما فتحت جفني فرأيت أسلاكها الذهبية تطل من نافذة حجرتي وكانت الساعة إذ ذاك في منتصف الثامنة صباحاً ، فدخلت إلى حجرة صديقتي فوجدتها لا تزال نائمة فلم أشأ أن أوقظها وناديت الخادم وأمرته أن يشتري لي صحيفة «نيويورك جورنال» فأحضرها وجلست إلى كرسي «فوتيل» ومكثت أقاب صفحاتها برهة

قلبت نظري العنوان الآتي :

﴿ آثار الفاجعة ﴾

« أتينا أول أمس على أخبار غرق السفينة « بون فوياج » بواسطة ثلاثة هائلة وقد نجا جميع الركاب والبحارة ماعدا عشرين رجلا وثلاثة عشر سيدة وثمانية أطفال وخمسة من البحارة ، على أنه قد تحقق اليوم أنه كان بين من نزلوا الى قوارب النجاة المستر « كلايتون » وهو أحد ضباط الاسطول الكندي سابقاً ثم شاب فرنسي اسمه « رولاند أديمون » وفتاة معه اسمها « لوسي دارتوي » هذا ولم يعلم اذا كانوا ضلوا عن بقية القوارب بين الضباب المتكاثف أو ان الأمواج الشائرة قد قلبت بهم القارب فاستشهدوا ضمنى وفاقهم الأول »

وقفت عند هذا النبأ برهة صرت فيها على شفتي ابتسامة لم تلبث أن تلاشت بين طيات الحزن الذي ملأ قلبي لذكري ضابطنا الراحل . ثم صرت بخاطري فكرة لم أستطع الفصل فيها بسرعة وهي هل أكتب الى ادارة تحرير هذه الجريدة عن تفصيل الخبر وما تم لنا في هذه الرحلة المنكودة ، أو أهمل المسألة ، على

أني أخيرا رأيت ارجاء البت في الموضوع الى ما بعد مقابلة المسر
كلا تيون وتسليمها رسالة قرينها

استيقظت لوسي وأقبلت على من حجرتها فرأت الصحيفة
بين يدي انظر اليها بسكون على غير عادتي فادهشت وقالت :
ماذا بالصحيفة قد استفرغ منك كل هذا الاهتمام فأطاعتها على
الخبر فتأوهت وقالت : يجب ان نزور اسرة الضابط اليوم اليس
كذلك يا رولاند ؟

أجل يا لوسي وسيكون ذلك عقب خروجنا
ارتدينا ملابسنا وتناولنا طعام الافطار ثم قصدنا منزل
الضابط وقد توقعنا اليه بعد سير نحو نصف ساعة من الفندق
سرها على اقدامنا خلفنا فيها اثنا تسير بين شوارع احدي المدن
التي نقرأ عنها في أساطير الاولين وخرافات المتقدمين .
أن مدينة نيويورك مدينة عجيبة مذهشة تشاهد في شوارعها
الفخمة جميع الاجناس من جميع الامم تسير في طريق واحد ،
توى على جانبيك وانت سائرا بنايات هائلة ترتفع الى السماء تناطح
السحب بقممها الشاهقة وتلك الغبراء بأقدامها الى اغوار بعيدة
فتها ما يندرج صاعدا سبعين او ثمانين دورا من الدور الواسعة الجميلة

وتنخفض نازلة ثمانية أو عشرة ادوار في باطن الارض . تقف تشهد
 حركة احدى الشوارع فتري ما يبهرك من حركة الاعمال المدهشة .
 تجد طرق المواصلات فوق الارض وتحتها وفوق الشوارع على
 جسور واعمدة تمتد عليها خطوط عريضة واجمل من هذا نظافة
 الشوارع التي لا يحتاج معها الانسان الى تنظيف حذائه او ملابسه
 حتي ولو سار فيها من الصباح الى المساء ، ثم توى العربات والسيارات
 سائرة امامك وبجانبك وانت لا تسمع لها صوتا لان ارض هذه
 الشوارع الجميلة مصنوعة من الخشب اللطلي بالقار فلا تحدث اذني
 حركة او ضجيج ثم ترى الناس مسرعين في خطواتهم منهمكين
 في اعمالهم وكذلك بدا الى الاسريكان لأول وهلة امة غريبة
 مدهشة .

وصلنا المنزل وسألنا عن مسز كلاتيون فوجدناها بغرفةها
 وبينما كنا نصعد على السلم كنت افسر كيف ابدأها الحديث
 والتي علمها خبر نهاية زوجها الحزنة على ان تفكيرى قد انقطع فجأة
 اذ قابلتنا السيدة على باب غرفة الاستقبال ، وهي سيدة طاقية المحيا
 في سن الخامسة والثلاثين تقريباً ذات قوام بديع وذات خلقة جميلة
 حينئذ فردت التحية بأحسن منها ثم دخلنا وجلسنا معاً

فبدأت الحديث وقالت : يبدو عليك انك قادمين من سفر طويل
او رحلة بعيدة فأن آثار التعب والنصب لا تزال تظهر على
وجهيكما
• فأجبتها :

اجل ، وصلنا أمس من وطننا فرنسا . . من باريس
من فرنسا نفسها ؟

نعم ، هل بها ما يهرك يا سيدتي ؟
فتأوهت وقالت :

لقد كان زوجي هناك منذ شهرين ثم ابكر الى لندن فليفر بول
وقد عاد بين ركاب تلك الباخرة التعميسة « بون فوياج » وما وصلت
هذه النقطة حتى لم تمالك عواطفها فذرفت عيناها الدموع وقد
بح صوتهما وتهدت وقالت ، واظنه قد استشهد بين الامواج فهو
وأنه كان ضمن الذين ركبوا قوارب النجاة الا انه كما اذاعت اليوم
صحيفة « نيويورك جورنال » اختفى مع شاب وفتاة فرنسيين ؟
وهنا توقفت لحظة وتفرست في وجهينا ثم استطردت الحديث
ولكن المبرات قد قطعتة عليها

وفي هذه الساعة لم تستطع « لوسى » الثبات بل ازرقت

الدموع ايضاً وبكت بكاء مرّاً وكذلك تحركت شفتاي عن تأوه عميق ثم انحدرت من جفني دموع حارة كبيرة ، فاسترعى هذا المنظر منا اهتمام السيدة فقالت

هل كان لكما يا صديقي قريب او رفيق بهذه الباخرة ؟
كلا

اذن فلماذا اراكما تبكيان او هل تبكيان من أجل ؟ يظهر أن نفسيكما تفيضان بالرحمة والطمأنينة لذكرى البؤساء والمنكوبين فأجبتها وقد رأيت أن هذه هي أحسن فرصة لأطلاعها على جاية الأمر نعم يا سيدتي لقد كنا نحن الشاب والفتاة اللذين قرأت عنهما في الصحف رفقة زوجك المحبوب وصديقنا الحميم في رحلتنا وهنا انتفضت قليلاً واعتدلت في مكانها وقد وجهت إلينا كل اهتمامها وأصغت إلينا اصغاء تاماً — ولقد كان له علينا أجل فضلي واسمى معاونة مما لا ننساه له أبداً أمد حياتنا وفي مماتنا ، فهو الذي أنقذ حياة صديقتي «لوسي» من الفرق وكان في انقاذها نجاة لي ايضاً من الموت المحقق وبذلك كان له فضل بقائنا احياء في هذا العالم ثم سردت لها حكايتنا منذ ساعة غرق السفينة حتى وصولنا في قارب النجاة الى الشاطئ وكانت تارة تتألم وتارة تدهش في حين

آن عبراتها كانت مستمرة الانسكاب وعندنهاية حديثي أخرجت
لها رسالة زوجها من جيبي مع المنديل بما فيه وما وقع نظرها على
الرسالة حتى تناواتها بتلفه وفصتها في الحال ثم قرأت : -

عزيتي صرغريت

أكتب اليك وهزات الحى ترعش جسمي ورسول الموت
يتقدم بي نحو السماء ، لقد مضى على أكثر من اثني عشرة ساعة
وأنا أعاني من شدة المرض ما أعانيه لا يخفف عني ألمي غير ثقتي
في الله وغير دموع رفيقى اللذين كانا يواسيانى ويقاسمانى شدتي ،
صرغريت لقد كنت اود أن أراك بجاني في ساعتي الأخيرة ولكن
حال القضاء دون ذلك فشكرا لله ان هيا لي لوسى بجاني تصلى
من أجلي وتنتحب وتبكي على كما هيا لي من رولاند صديقا مخلصا
يشجعني ويقوى من عزيتي ويصبرني على مصابي .

آواه إني ، أراني ان أعيش حتى اكافئهما على هذا الجميل
فلو صدك بهما خيرا اذا كان لك حظ في رؤيتهما وأنى ادعو الله أن
يصلنا الى اصريكا المحبوبة سالمين :

صرغريت

لقد عفوت عنك في كل ما تجسبينه انك اسأت الى فيه وعلم

الله انك لم تسيء الى في يوم من ايام حياتي فامنعيني انت عفوكم
ومغفرتك ونضرعي اسماء الرحمة ان تدبر علي بغيثها ، واني اوصيك
يا بنينا « جاك وماري » خيرا فكوني لهما اما و ابا بدل ان كنت لهما
اما فقط ، واذكري لهما دائما اني كنت احبهما حبا عظيما واني
ما آرت فراقهما ، وانما ناداني المولي الى جواره فلبيت ندائه .

الوداع يا صرغريت ، الوداع يا احب الناس الي ، انني افارق
الحياة وانت آخر من افكر فيه ، وكل ما آسف عليه ، فاذا كريني
دائما بالرحمة والاحسان وان اردت مخاطبتي او حديثي فعمليك بشاطيء
البحر واسألني الامواج والمياه ان تاتي الى برسائك حيث منوأي
الاخير في صميم اليم حيث السكينة والخلود .

الوداع يا صرغريت وآخر كلمة اقولها لك ان تتمهدي ولدينا
بالشفقة وان تحسني اليهما في حياتك خيرا

كلايتون

لم تكدم مسر كلايتون ان تأتي علي آخر الرسالة حتى شققت
شهقة اللمة خلت ان فيها نفسها الاخير ثم تشنجت اعصابها وتاهت
بين حالة اغماء شديد ، فأسرعت نحوها الناولوسي وناديت الخادم
فاحضر اليها بعض الماء والروائح واسمفهاها وبعد ربع ساعة اخذت

تستفيق من اغماؤها وكان قد اخذ منها المذء مأخذ فأشرفنا عليها
بأن تستريح قليلا في فراشها ثم ودعناها وخرجنا بعد ان واسينها
وعزيناها في مصابها

بعد ان خرجنا من منزل مسز كلايتون قصدنا احد المصارف
فاستبدلنا منه كل ما معنا من العملة الأجنبية واستبدلناها بنحو
ستين دولارا امريكيا عن منا على ان نصرف منها باقتصاد تام
وأن لا نصرفها في اقل من ثلاثة أسابيع حتى نجد لنا عملا ولا افتسوء
حالنا متى نفذت منا النقود ولم نكن توفقنا الي عمل نوزق منه .
لذلك كان اهم صعوبة تعرضنا الآن هي ان نجد عملا في خلال
اسبوعين على الاكثر ولهذا اشارت لوسى بأن نتوجه الى ادارة
احدى الصحف الشهيرة ونشرف فيها اعلانا لنا فأجبتها بالرضاء
والموافقة ثم قالت:

ولكن ألسنت تستعسن أن تقصد ادارة نيويورك جورنال
فنكتب لها تفصيلا عن خبر أختفائنا الذي أشاعته اليوم تحت عنوان
« آثار الفاجعه »؟ حتى اذا ما وصفنا تلك الحوادث المروعة والمشاق
التي لا فيناها في رحلتنا عطففت علينا قلوب اصحاب الاعمال فيتمسر
لنا بذلك ايجاد عمل في وقت قريب ؟

نعم ، يا لوسى ، ان رأيك صواب وقد خطرت لي هذه الفكرة
 في الصباح على أنى اجلت البت فيها الى ما بعد زيارتنا لمسز كلايتون
 والآن حيث انك معى عند هذا الراى فلنذهب توا قبل ان
 تبلغ الساعة الواحدة .

وصاننا ادارة الجريدة حيث قابلنا رئيس التحرير وهو رجل متملىء
 الجسم لطيف الحديث ولكنه كثير الكلام نوعا ما فقصصنا عليه
 حكايتنا وقد تأثر منها كثيرا وبدأت على تحياة علائم المطف والشفقة
 ثم طلبت اليه ان يعلن عنا بأننا فى حاجة للأشتغال ببعض الاعمال
 وقد افهمته انى حامل لشهادة الدكتوراه فى علوم الحقوق والمعلوم
 الاقتصاديه وانى اجد اللغة الفرنسيه والانجليزيه والالمانيه
 وان لوسى تجيد ايضا اللغتين الاول وحامله لشهادة اليسانس فى
 الآداب الفرنساوية ولها دراية تامة بالاشتغال على الآلة الكاتبة
 وفن التمريض وقد سبق لها مزاولة هذا العمل بمستشفى باريس
 وبعد ان شرحنا له كل الماومات التي طلبها واعطيناه عنوان اقامتنا
 بفتدق ، يتوانجلا ند ، عرضنا عليه ان ندفع بعض النقود مقابل
 الاعلان فأبى وابدى استعداده لمعاونتنا من صميم قلبه ، فشكرناه
 وخرجنا وكانت الساعة اذ ذاك فى منتصف الواحدة تماما .

بعد ذلك قصدنا مطعماً حيث تناولنا غداءنا ثم عدنا إلى الفندق
وفي المساء اشترينا جريدة نيويورك جورنال طبعة الساعة الثامنة
مساءً لأن هذه الجريدة تطبع عدة مرات في اليوم فراينا فيها
مقالاً ضافياً تحت عنوان صنم تناول فيه المحرر قصتنا كما القيناها
عليه بالحرف الواحد، وفي نهاية المقال اعلان يشير إلى حاجتنا للاشتغال
في بعض الاعمال ثم أطنب المحرر المدح في كفاءتنا وقدرتنا
واستحث أصحاب الاعمال على مساعدتنا وفي الحقيقة فإن
المحرر قد بر بوعده لنا، وقد راينا نفس هذا الأعلان في اعداد
الصباح جميعها فلم يبق امامنا الا ان نتنظر تلقي دعوتنا للعمل
من جهة ما . . . ؟ !



في نيو يورك

مضى علينا حوالى الاسبوعين ونحن ننتظر ان تصلنا
خطابات من بعض الاعمال ولكننا لسوء الحظ لم تلق ولو
دعوة لأحدنا فسبب ذلك لنا القلق وأضعف أماننا في إيجاد عمل ما
و بينما كنا نفكر في المستقبل المجهول الذى ينتظرنا والمشاق
التي ستلاقينا في الايام المقبلة بمد نفاد الفضة الباقية من المال
وقد بدأت المراجس تحتاطنا وتصور لنا المستقبل بصورة
بشعة مشوهة واذا بنا وقد جالسنا في غرفتي واواجهين تدمير
في امرنا اذ طرق الباب الخادم ويده خطاب كان مهنونا باسمي
فقدمه الي وفضضته واذا فيه :

المصرف الفرنسى الأمريكى

عمرة ه شارع نيو يورك

جناب المسيو رولاند ادمون

قرأنا الاعلان الذي نشرته صحيفة نيو يورك جورنال باسمكم
واسم صديقتكم باعداد يوم ٢٠ اغسطس الذي ابدتكم فيه رغبتمكم
للاشتغال وحيث ان لدينا أعمالا لكما فالرجاء مقابلتنا غدا الساعة
الماشرة صباحا لمفاوضتكم في ذلك ما
مدير المصرف

بوين

ما كنت افرغ من تلاوة الخطاب حتي ابتسمت ابتسامة
الظفر ثم هزأت لوسى بقرب انفراج الازمة وقد لاحظت ان
سحابة الكتابة التي كانت تظل وجهها منذ هنيهة قد ذهبت
وفي الحقيقة فأننا قد سرورنا غاية السرور لمنوح مثل هذه الفرصة
لان اعمال المصارف على العموم وان تكن في غالب الاحيان معقدة
ومجهددة للفكر الا اني أفضليها على الاشتغال بمجلى تجارى او بمكتب
محاماه او غير ذلك ، وكان سروري اكثر واتم عندما وجدت ان
الظروف قد هيأت لى انا ولوسى الاشتغال في مكان واحد وهذا
ما لم نكن نحلم به

توجهنا في الصباح الي المصرف حيث قابلنا مديره وقد
اتفقتنا معه على ان تشتغل لوسى على الآلة الكتابة نظير اجر اسبوعى

يبلغ عشرة دولارات وأنا أشتغل بفرع الأوراق المالية نظير أجر
اسبوعي يبلغ خمسا وعشرين دولارا وقد حررنا عقداً بذلك لمدة
عام ابتداء من أول يوليو أى في اليوم التالي لغد اليوم الذي وقعنا
فيه العقد.

الآن أصبح لدينا دخلا يبلغ ٣٥ دولارا في الاسبوع فكفلنا
به لأنفسنا عيشا راضيا بل أن هذا الدخل نستطيع أن نقصد
منه خمسة عشر دولارا في الاسبوع فلا يعض العام الذي تعاقدنا
عليه حتى يتوفر لدينا نحو ثمانمائة دولار وهو مبلغ ليس
بالقليل في بلاد أمريكا نستطيع أن نستثمره وننال من
ورائه أرباحا لا يستهان بها . ولقد كان البت في أمرنا على هذا
الحال من دواعي بهجتنا فقضينا طول اليوم في غبطة كما
أمضينا اليوم التالي وهو اليوم الوحيد الباقي من أيام بطلتنا في
سرور وأخذنا نتم فيه جولاتنا في شوارع المدينة ونتمتع
بمعجائبها ، فكانت من أعجب معجزات هذه المدينة التي رأيناها
في ذلك اليوم هي جسر بروكلن .

يقف الانسان على ذلك الجسر المعلق الممتد فوق الماء فيرى
المركبات والسيارات تسير في طريق واحد ويجد فوقها عربات

الترام ويصير فوقه قطار سكة الحديد وإذا نظر الى أسفل شاهد
السفن الكبيرة تمخر عباب الماء ثم يجد تحت الماء أيضاً نفقاً عظيماً
تسير فيه سكة الحديد وما يدعو الى الاستغراب ان مع كثرة
هذه المواصلات في المدينة فأنت ترى دائماً المركبات مزدحمة
بالركاب ولا فراغ فيها

أن أمة أمريكاهي الامة الوحيدة التي ترى في بلادها روح
المساواة والاخاء والمدالة قد بلغت أقصاها فالكل متساوون
أمام الحاكم والرئيس والقاضي في كل مكان ، وكذلك كانت المساواة
والحرية والأخاء من مزايا هذا الشعب المختلط من جميع العالم
الذي تمكن في سنين معدودة أن يكون شعباً مستقلاً بذاته
وقوميته

ان الايام القلائل التي قضيتها في نيويورك منذ وصولنا الى
الشاطئ ، اظهرت لي كثيراً من مزايا الامريكان وعجائبهم ولهذا
كانت أمتهم لدى أمة جديدة بالاكبار والعجاب ، فهي الامة الوحيدة
التي ترى افرادها جميعاً تعمل بدون استثناء ، لا تعرف منهم عاطلاً
لا يتكسب أو سائلاً يستعطي ، الجميع يشتغل ويجد ، تسير في

الشارع فترام مسرعين في سيرهم لاستطيع أن تكلم أحدهم لأنه
لا يقف ليسمع حديثك بل أنه لو اصطدم بك أو صدمته
في أثناء الطريق لا يقف ليمتذر إليك أو ليسمع اعتذارك إذ أنه
يرى أن هذه أمور فارغة مضيعة للوقت الذي هو أثمن من
كل شيء.

في الإسكندرية كنت قد سمعت أن استطاع أن يفهم معنى الوقت
وقيمته ، لذلك فهو لا يبذل دقيقة واحدة من وقته ليقول الجواب
وهو سائرا في الطريق أو راكبا عربات الترام وكم دهشنا مرة أن
ولوسى وقد دخلنا مطعما من مطاعم أهل الأعمال من رجال ونساء
فوجدنا أنه ليس به خادِم مابل أن من يريد أن يأكل يتقدم بنفسه
فيشتري كل ما يريد دفعة واحدة ثم يجلس إلى مائدة يأكله ويخدم
نفسه بنفسه.

وهكذا فأنت تمشي في مدينة نيويورك تتدهش من
الحركة التجارية القائمة فيها ، ترى انشعب بجمعه من نساء
ورجال ، شبازو كهول يتسارعون ويركضون ساعين وراء أعمالهم
الكبيرة.

ان أهل نيويورك وخدمهم هم الذين يعتبرون الليل كالنهار

فالأعمال سائرة باستمرار واليوم منقسم ههنا إلى ٢٤ ساعة الثانية
تلي الأولى وهكذا فيقولون الساعة ١٠ وهكذا يخدم يستعملون
ساعات سائرة بهذا النظام كما ترى فيهم ملايين العمال وقد
اصبحوا يستغربون منوه الشمس بل ويتألمون منه . لأنهم قد
اعتادوا على ضوء السكرياء ، نصف الاهالى ينامون بالليل
والنصف الآخر ينام النهار كله من شروق الشمس الى غروبها
وهؤلاء الذين يتناولون الاعمال بالليل ، لانها طبعاً تظل سائرة
فى الليل كما فى النهار . وكذلك تدهش أيضاً عند ما تعلم ان نصف
السكان يعيش تحت الارض والنصف الآخر فوقها تبعاً لنظام
مساكنها واعمالها .

ان امريكا عظيمة جداً ومملوءة بالزرائب والمدهشات ، ترى
فيها الصحف تطبع عدة مرات فى اليوم فثلاث تشرى صحيفة فترى
انها الطبعة الثامنة أو العاشرة وكذلك فالصحافة لها نفوذ عظيم
فى البلاد وجميع الشعب يقرؤها لانهم جميعاً يجيدون القراءة والكتابة
وعدا ذلك فالأثمان رخيصة جداً فلا تباع أكبر صحيفة منها بأكثر
من مليم واحد ومن الغريب انه يكون بها عادة ورق قيمته اضعاف
الثلث الذى تباع به

ان الشعب الاصريكي هو الامة الوعيده التي لا تاريخ
لها ، وهو الامة التي لا ماضي لها ولكنها اليوم تكون
عاصيا مجيدا لمستقبلها ، سيبكون المثل المضروب لدى جميع
شعوب العالم



١٦

الى واشنطن جطون

كانت الشهور القليلة الماضية التي قضيتها مع « لوسى »
 بمدينة نيويورك هي صحيفة مجيدة من حياة غرامنا ، هي صحيفة
 نقديتها ونجلها لأننا تساقينا فيها كـ « لوسى » الحب التي كان فيها
 شفاء لقلوبنا وتضييداً لجروح أفئدتنا الدامية منذ اعوام ، أجل
 انها سطر من السطور التي خطتها أيدي الآلهة على صفحة
 السعادة والنعيم .

في يوم ١٠ نوفمبر . . . ورد على مدير مصرفنا رسالة من فرعه
 بمدينة واشنطن يطلب فيها اليه تعيين موظف ليرأس قلم
 الاوراق المالية وهو الذي ستتخلو وظيفته في منتصف الشهر
 الجاري .

طالب مدير المصرف مقابلي في نفس اليوم وعرض على
 الخطاب وقال ان ثقتي في عمالك وكفاءتك التي أبديتها لنا في خلال

المشهور الاضحية تدعوني الى اختيارك للقيام بهذه المهمة الكبيرة
 الى لا أحب ان يديرها غيرك واني نظير انتقالك سأرفع مرتبتك
 الى المصنف اي الى خمسين دولاراً في الاسبوع ومع ذلك فانه
 يمكنك ان تعود الى عملك هنا بعد انتهاء السنة المالية الحالية اي
 بعد شهر ابريل القادم وان رضيت للمقام هناك بعد هذه المدة
 فذلك مانوده ، هذا ما احييت أن أعرضه عليك اليوم باسمي و
 رولاند واني اتمنى أن تجيب بالقبول وسأعطيك مهلة للتفكير
 في أمرك الى الغد فانت وافقت على السفر الى واشنطن
 فكن على أهبة الرحيل اليها في يوم ١٤ الجاري على الاكثر .
 انصرفت من حجرة المدير بعد ما أتم حديثه ثم عرضت
 المسألة على لوسي بعد انتهاء عملنا اليومي ونظرت اليها وقالت :
 أي لا أستطيع فراقك يا لوسي ولذا فاني لا يسعني الا الرفض
 فاولمات قليلا وقد تمشت على جبينها سحابة الحزن وقالت :
 كيف ترفض الست تذكر نصوص العقد المأخوذ عليك وفيه
 أن المصروف الحق في انتدابك للسفر الى أي فرع من فروعها في
 خلال مدة تماقذك وعليه أن يدفع نظير ذلك تعويض انتقال ؟ !
 وأن كان المدير اليوم أمهلك في التفكير فما ذلك الا كرماء أدبانه

والأفان له الحق في تبايظك مأمورية انتدابك بأمر بات ؟

أجل ، ولكن ...

ولكن ماذا ؟

هل نفترق ؟

اذن وما العمل ؟

احدنا يمتزل العمل ويرافق أخيه !

كلا ، يارولاند ، انى لا أرتضى لك ولا لنفسى هذا الأمر .

انك يوم ان وقعت على عقد العمل كنت قابلا كل نصوصه

راضيا بها فوفواؤها اصبح ديننا فى ذمتك تؤديه ، او وعداً صريحاً

عليك ان تنى به فهل ترتضى ذمتك ان لا تؤدى الدين او يسمح

لك شرفك أن لا تنى بالوعد ؟ فى حين انك قادر على القيام

به ! وفوق ذلك فمن تريد منا أن يكون حالة على أخيه

فيترك عمله ؟

انى لا أنكر انى سأناألم لفراقك بل انى متألمة الآن

وحزينة جداً ولكنى سوف أتحمل كل ذلك فى سبيل الواجب ،

فلتتحمل أنت أكثر منى ، ولتغلب لديك عاطفة الشرف على كل

عاطفة أخرى فارجم الى نفسك يارولاند ولا تزري بوعدك

امام مدير المصرف وهو الذي يثق فيك كل هذه الثقة التي جعلته
يلج عليك في السفر .

اذن ماذا تقولين ؟

السفر

اذا كان هذا برضيك فاني سأفعل .

وكذلك قد قر الرأي على سفري وفي الصباح قابلت
المدير وأبلغته عما تم عليه عزمي فابتهج لقبولي ومصرف لي اذناً
مالياً بخمسين دولاراً مصاريف انتقال . . .

في صبح يوم ١٤ نوفمبر كنت أرى من بعيد منديل لوسي
الابيض وهي تلوح لي به والقطار سائر نحو مدينة واشنطن
فأخذت أردد لها تحياتها بمنديلي انا الآخر حتى اختفت عن
بصري فتملكني شعور الأسى والألم لفراقها فاستودعتها الله
وتضرعت اليه ان يرعاها بعنايته ، ثم جلست في مكاني بالقطار
مهموماً كئيباً وأردت ان أسرى عن نفسي بعض آلامي فتناولات
من حقيبة سفري كتاباً تاريخياً استحضرنه ، حتى لأمضي فيه بعض
اوقات فراغي واسم هذا الكتاب « اسرار الدنيا الجديدة » وهو
يتناول كثيراً من اقصيص القارة الامريكية وشيئاً من تاريخها

ويكاد يكون جميع ما فيه حديثا لا يتجاوز عمره الثلاثمائة او
 الاربعمائة عام ، اى منذ اكتشاف هذه البلاد اللهم الا بلاد
 المكسيك ويروى انه اتي في تاريخها على عهد ابيد من هذا
 التاريخ لانه كان لهاتين الملكتين ماض مجيد وحضارة عالة ولقد
 لذى ان افرأ كل ما كتبه المؤلف عن تاريخ هذه المدينة الغابرة ،
 على ان ما استلفت نظري واستجمع لى فى اثناء قرائى فقررة تتناول
 نحو ثلاث صفحات من الكتاب من صحيفة ١٣٩ الى ١٤٢ ، قرأت
 فيها عن المكسيك ما باتى .

ان البلاد التى يطلق عليها اسم المكسيك ، وهى تلك الهضبة
 المرتفعة الواسعة المساحة كانت بلادا لها تاريخ مجيد وعظمة قديمة
 فقد كانت البلاد الوحيدة ذات المدينة فى قارة امريكا الشمالية
 وكانت مدينتها تشبه مدينة القدماء المصريين اصحاب مدينيات
 العالم الاولى ، يدل على ذلك مبانيهم الفخمة وآثار معابدهم وكتاباتهم
 التاريخيه ونقوشهم التى تشبه الكتابة الهيرو غليفيه

وليس بغريب على هذه البلاد التى هي أغنى بلاد معدنية فى
 العالم بعد الولايات المتحدة أن تكون فيما ساف قد بلغت من
 الحضارة شأوا عظيما ، فهى لا تزال تستخرج من مناجمها حتى

اليوم مادن الذهب والفضة والنحاس والرصاص والحديد والفحم
والزئبق . . .

ولقد كانت هذه البلاد عند اكتشاف الدنيا الجديدة ذات
شهرة عظيمة رن صدها في آذان الاسبانيين الذين كانوا بحزائر
كوبا اذ ذاك وقد بلغهم أنه يوجد في اواسط البلاد الامريكية
مملكة فيها من الذهب والفضة ما لا يدخل تحت حصر فسيروا
اليها في عام ١٥١٩م حملة صغيرة لفتحها بقيادة « كورتيز » مؤلفة من
نحو خمسمائة رجل وستة عشر فارسا فدعرا الى المكسيك من
مدافع الاسبانيين وخيولهم التي لم يكونوا يعرفوها من قبل
وكذلك استولى الاسبانيون على البلاد بدون مقاومة .

وقد كان يحكم المكسيك في ذلك الوقت ملك اسمه « مونتزوما »
من قبيلة تدعى « الازاتقة » وكان ذو جاه عظيم وثروة طائلة فلما
تحقق من وقوع هزيمته ووقوع بلاده تحت نير العدو المهاجم جمع
نفائس قصره ومملكته وأمواله وجواهره وهي تقدر بالملايين من
الجنهيات وخبأها في احد المعابد الخفية على أمل حفظها للمستقبل
ولكنه لم يلبث ان سقط بين قبضة الاعداء فنكلوا به وقتلوه شر
قتل ، على أن هذه النفائس والاموال العظيمة لم يعثر عليها بعد

والمرء أن سرها كان عند رئيس كهنة الملك وبعض القسس وهم
كانوا جميعا من عبدة الشمس وكانوا مخلصين منتهى الاخلاص للملك
فلم يروحوا بسر دفاتهم مع ما نالهم من التمثيب المر على أنهم
يؤكدون الآن أن هذه التحف والخبآت لا تزال باقية في المكان
الذي أخفيت فيه ويقولون ان المعبد او الهيكل المزعوم ان
به هذه الاموال هو في نقطة متوسطة بين خرائب تلك الاطلال
التي يراها السائح الآن حول مدينة مكسيكو وهي مؤسسة على
انقاض عاصمة مملكة الازتيك القديمة اي مملكة الازانقة ، ولقد
كان يدور بخلد بعض الاثريين فكرة التنقيب عن هذا الكنز
العظيم ولكن لم يتقدم احد بعد لخراج هذه الفكرة الجميلة
الى حيز الوجود ولا ينقص الباحث في هذه الاطلال غير المائل ثم
الصبر والناة »

قرات هذه الفقر وقد شعرت انها نالت مني اهتماما يذكر
فاخذت افكر في صحة وجود مثل هذه الاثار الغالية والكنوز
الهمينة وقد اتقت نفسي الى الوقوف على اسرار هذه الخفايا الغامضة
على ان بهرى لم يلبث أن وقع على الجملة الاخيرة وهي ولا ينقص
الباحث

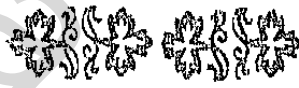
فطويت الكتاب ووضعته في حقيبتي لأن المشروع قد
أصبح طبعاً خارج مقدرتي مادمت عديم المال
ثم وقفت اطل من النافذة على حقول الغلال الواسعة التي
كانت على جانبي الخط الحديدي وسراعي الماشية الناضرة حيث
كانت تمرح فيها الماشية والسائمة . . .

وكان القطار قد وصل اذ ذاك الى محطة فيلادلفيا وهي مدينة
جميلة ذات مناظر خلابة وخاصة مناظر تلك الشلالات القريبة
منها والواقعة عند ملتقى نهر سكوكيل بنهر دلور
ولقد ساعدتها مرافقها الجميلة على ان تصبح ثغراً عظيماً ومدينة
صناعية هائلة ، تسمع من وسطها مداخن عالية تلبد الجو
بسحب كثيفة من الدخان .

وكانت اهم مدينة مر بها القطار بعد فلادلفيا قبل وصولنا
واشنطن هي ثغر بليتمور وهو ذلك الثغر الجميل الذي
يبدو لي من ازدحام سكانه وكثرتهم انه مركز تجارى
عظيم .

ولم يمض زمن طويل حتى سمعنا القطار يرسل بصفيره
اصوات التحية الى عاصمة البلاد وقد اخذ يخف سيره قليلاً

قليلًا فأخذ المسافرون يحزمون جرائدكم وكتبهم التي
 كانت بأيديهم وينتهيأون للنزول وكذلك وصلت واشتجطون
 وكان الجو ممعشا ...



١٧

الرسائل

مدينة واشنطن مدينة جميلة ليست لها شهرة خاصة
غير انها العاصمة السياسية للبلاد الأمريكية ، لذا يؤمها
كثير من كبار الولايات واشرفها ، لذا ترى على جوانب شوارعها
الكبيرة المتسعة مبان ضخمة وعمارات هائلة تسترعى بصرك
من بينها الدار البيضاء حيث مركز رئاسة الولايات المتحدة
ثم دار الكابيتول حيث يجتمع مجلس الشيوخ والنواب
ولقد عشت في هذه المدينة في الستة شهور الى قضيتها بها
عيشة هادئة ناعمة ولم يكن يقلق راحتي في غضون هذه المدة
غير ذكرى رقيقة لوسى وشوقي لرؤيتها الذي كاد يفتت كبدي الحرى
يحيتها ، ولم يكن يخفف عنى بعض هذا الالم غير الرسائل التي
كنا نتبادلها من حين الى حين فكنت اقرؤها مراراً حتى ليخال
لمن يري رسالة منها انها سطرت منذ اعوام فهي بالية غنية مضت

عليها السنين والاحقاب ، وانه لمن دواعي الاسف ان يسبب تكرار
تلاوة هذه الرسائل القيمة نحو كثير من سطورها مما يحول بيني
وبين اثباتها في هذه المذكرات بين الرسائل التالية



من رولاند الى لوسى

عزيزتى لوسى

وصات امس الى مدينة واشنطن جطون وما كان اشغلى عن بهائها
وحسنها لأن ما بنفسى من ألم لفراقك قد شغلني عن كل شيء سواك
آه ، تبا للأنسان ما أظلمه ؟ فقد ظلمت نفسى أن رضخت لقولك
في السفر وخضعت لسلطان غرامك في قبول النأى عنك ولو
كنت أدري ما سأعانيه من الألم المبرح والشوق القاتل
لرؤيتك لكان لى شأن آخر اليوم ، حقا يا لوسى أنك لو تعلمين
أى نار توعى قاي اليوم وأي هيب يتقد باحشائى الساعة لكنت
أشفقت على ولما أشرت على بالرحيل ، آواه ، ما أقسى الايام وما
أشد آلام الفراق !

سأقضي هذه الليلة وحيداً كما قضيت التي قبلها وليس لي ملوى
 أو عزاء غير التفكير فيك مرة أو النظر إلى رسمك الجميل مرة
 أخرى . أنى أرى الساعات طويلة مملة وكأنها لا تتقدم وأنا هي
 تتأخر لتزيد في شقائي وتعمث براحتي ابودى لو أمضى كل وقتى في
 الكتابة إليك ، اذ لست أجد وأنا بعيد عنك لذة أحلى من التفكير
 فيك والتمتع بمناجاتك والتسامر إلى طيفك ، والاصغاء إلى دقات
 قلبي وهي تردد اسمك وتتغنى بفرامك ، أجل يا لوسى أنك تملأين
 حولي كل شئ ، يهب على النسيم العليل فأحسبه أنفاسك المطهرة
 وأنظر إلى الأزهار فأخالها تبتسم إليك ، ثم أرى أضواء الشمس
 فتذكرني بأنوار وجهك الساطعة وأمر بالجدول فاذكر قطرات
 دموعي الجارية وكذلك فأنت تتمثلين لي في كل ما يحسطني من
 مناظر الطبيعة الخلابة .

ماذا عساني أن أقول غير أنى أحبك يا لوسى وأنى اتنفس الصعداء
 كلما مرت بي ساعة فامحو بها سطرا من صفحة فراقنا الذى أراه
 طويلاً مملاً ، فهل صليت من أجلنا يا لوسى ودعوت الله أن يقرب
 من أيام لقائنا لأن دعواتك طاهره فهى تنفذ إلى السماء لأنها
 صوت من وحى الله ونعمة من نفحات الملائكة .

كم أنا أريد أن أكتب لك ولكن القلم يهوى من بين أنامل
عاجزا ضعيفا لا يستطيع أن يجد من بين ألفاظ اللغة ما يقضى
لبانته فأن رأيت بالوسي أن رسالتى اليوم تافهة فأنى
استميت بك عذرا فى ضعفى وإثك تحيات قلبى النابض باسمك
حتى الموت . م

رولاند

٢

من لوسى الى رولاند

عزيزى رولاند

ما كان امرها تلك الليلة الماضية وما كان اقساها تلك الجمرات
النارية التى كانت تلهب جسمي اينما تقلبت

تقول فى رسالتك انى ظلمتك بالاشارة عليك بالسفر وعلم
الله انى ما ظلمت غير نفسى وما قسوت الا على قلبى ولكنها هى
آلام الحب فلنتقبلها راضين فى سبيله

انى لا اتصور ولا يمكنى ان اتصور ان قلبا من القلوب او

نفسا من النفوس تستطيع ان تمناني من الآلام ما عانيته لفراقك
وما كنت احسبني قادرة على ذلك لولا اني علمت ان الحب هو
الذي وهبني تلك القوة فاعظم الحب من سلطان قدير يقوى
الضعيف ويوهن القوي !!

لست ادري ماذا اكتب لك وانا لذي الشيء الكثير ، فإ
أكثر ما في النفس وما أقل الالفاظ التي تعبر عما يحتاج الفؤاد من
عواطف الغرام وآلام الوجد . اني كلما أمسكت القلم ونشرت
القرطاس رأيت اناهي تتراخي ولا اعد استطيع ان اخط سطرا
واحدا لانني اجدني منجذبة بتيار خفي مشتغلة به ذلك هو تيار الحب
ما اعظم الحب يا رولاند ؟ اليس هو الذي يعلمنا تلك الفضائل
السامية .

اليس هو منبع الرحمة والعفة والصدق والوفاء ؟ اليس هو
مصدر الأناة والصبر ، ورقة المواطن ونبل الاخلاق : حقا انه
عظيم ويعلمنا عظام الامور التي ترفعنا فوق هذا المستوى البشري
وكذلك نري المحبين والمفرمين دائما ملحقين بعالم الوحي والملائكة
لأن الحب هو غرس قلوب الملائكة الطاهرة ونبات نفوسهم الزكية .
رولاند ، ادع الله . هي ان يجعل لنا من حبنا الطاهر وحيًا

تسمو به نفوسنا ونصل به الي سماء الكمال
ثم سلامي اليك مع كل شمس طالمة وبدر شارق
لوسي

من رولاند الي لوسي

عزيزتي

اتستطيعين يالوسي ان تصوري حال صديقك رولاند ؟ انه
امسى شابا تميسا قد تلاعبت به يد الارزاء وطافت به سفينة النأي
والفراق حول عالم المموم والآلام من اقصاه الي اقصاه حتى
ارعبته من شرابه الشيء الكثير لقد امسى منكوداً مشقت الافكار
مضطرب الفؤاد لا يفتح عينيه ولا يفهم جفنيه حتى يرى شبح
ماضيه وحاضره ماثلا بين يديه يروعه خوفاً وينذره وبالاً بمستقبله
انها لقسوة ، انه اظلم ، فويل الأيام وتبا الدهر ونقمة اسوء
الحظ : اهكذا تماثل القلوب الطاهرة وعلى هذا المنوال يكون
شأها في الحياة ??

كيف لأراك يا موسى شهيرين كأماني؟ وكيف سابق مثلي
وأكثر منها وأنا لا أراك؟ كنت أحسب أن صنعة آلامي
الماضية في باريس هي أقسى ما يمر بالإنسان من العذاب ولكنني
رأيت أن السطر الأخير الذي أضمه إليها هو أشد سطورها أسى
ونكداً، شهيرين ثم شهيرين أضيفها إلى أمثالها من الأعوام
المسابقة؟

فهل لقلبي أن يطيق صبراً بعد؟
أجل يا موسى تلك حالي ولا يخففها عني غير أنني أعتقد أنني
مقيم هنا في سبيل رضائك وبرا بوعدي إليك .
آه يا موسى . كم أعزم أن أكتب إليك فأشكو الحب
والغرام وأصفه بالظلم والاستبداد ولكنني أعود فأحسب نفسي
وأردها عن غايتها!

أليس استبداد الحب وعبوديته هي نفس السيادة والشرف
لأننا نشعر دائماً بالذة ساحرة هي أوقع في النفس من نفحات الاوتار
وأي لذة أعظم من أن يجد الحبيب نفسه بجانب حبيبته يسبح
في سماء الغرام على أجنحة نورانية شفافة نسيجها من جم المحبة
وعظيم الاخلاص احقاً فالحب وحده هو سر هذه الحياة فهي

بدونه معدومة لا قيمة لها ، وكل شيء زمني من ألم مبرح وأفكار
مضطربة وعواطف ثائرة وانفعالات شديدة فهو جميعه لذيذ مادام
الحب مسيطر عليه .

أعلمين يا لوسى كيف أترقب ورود البريد ، إنه كما يترقب عباد
الشمس شروقها ، وكما يترقب المريض ساعة شفائه ، فهل أشفقت
بهذا القلب الذائب والنفس المتفانية فتعديها بآباء الحياة من رسائلك
وتداوى سقمها وعلاها من الفاظك وعذب كلماتك ؟

رولاند

من لوسى الى رولاند

حبيبى رولاند

أرأيت شكوى فؤادى الذى سطرها بدماء القلب على وجه
الشمس الغاربة هذا المساء لتعدي بها الى الملاء الأعلى تتذرع اليه
وتتوسل أن تقصر من مدى فراقنا وتحنين من ساعة لقائنا ؟
لقد خدعت نفسى يوم أن أشرت عليك بالسفر ولقد

حسبت أن لدى قوة المزيمة والصبر على تحمل الآلام ما يدفع عنى
كل هذا الشقاء الذى أروح تحت اعبائه هذه الأيام ، فلما ارتحلت
وجدتني بمدك فتاة ضعيفة بأسنة ليس لها من القوة التي تصورتها
غير صباية نفذت منذ الساعة الأولى :

أتذكر يارولاند مقعدك في « الصالون » أنى أجلس في كل
مساء وأقرأ في صحيفة نيويورك جورنال فأخال أنك جالس
بجانبي تسمعني وتصفى الى حديثي فأنظر نحوك فأنتفض أنتفاضة
مؤلمة اذ أرانى وحدي أقرأ النفسى وأن مقعدك خالياً بجانبي فالى
عليه نظرة أسى واعلم أنى كنت واهمة فيما تخيلت وأن تلك كانت
أياما مضت ولم يبق منها غير أثرها .

أتذكر ذلك السوار الذى أهديته لى يوم الاعتراف ؟ انى
أنظر اليه فى كل صباح فأقرأ فيه صفحات الماضى ، أقرأ تلك
الكلمات المذبة التي سببت بها نفسى ، أقرأ فيها نجوى قلبك
ونجوى فؤادي فأنظر اليها ساعة طويلة ثم اردّها الى مكانها تشيعها
انه من الآلم وحسرة على تلك الايام الهنيئة التي قضيناها فى باريس
ترفرف فوقنا اجنحة الحب والفرام وتظللنا سماء الهناء والسعادة :
لجل ، ان الحب الذى يتغال فى هذا القلب يوما بعد يوم

ليس عرضاً وقتياً وإنما هو جوهر في النفس وعنصر من عناصرها
 قد امتزج بها من نشأتها فهيئات انفصالة عنها
 آه يارولاند، كم أري الأيام طويلة والساعات لا تمر، أني انتظر
 بفارغ الصبر كتابك الذي تنبئني فيه بمودتك الي، فتي يصل هذا
 الكتاب ومتى تعود

لوسى

من لوسى الي رولاند

ملاكى الصغير

الى متى نبقى في سجن آلامنا؟ والى متى تفرق بيننا الايام
 آه يارولاند، ان قاي الفائنض بالفرام وفؤادى الطافح بحبك
 لم يمد يقوى على اخماد تلك الماطفة النارية التى تلهب مهيجتى شوقاً
 لرؤياك ووجد اللقىاك

عزيزى

أن الاشقياء في الدنيا كثيرون ولكنهم يتفاوتون في شقاوتهم

كما تتفاوت السعداء في مراقب نعمائهم على أن أشد هذه الفئة
 شقاء ذلك الانسان الذي يملك بين جنبيه نفساً آية لا ترتضى
 الضيم وتأبى الضعف فهو كلما دأبته عاصفة بأسائه يستقبلها بجنان
 ثابت ونفس هادئة وبجترع من كؤوس الألم ما الله عالم به حيث
 يودعها قرارة نفسه ويخلق من دونها باب الصمت والكتمان فتظل
 جذوة الله متقدة في احشائه يقامى بين شدتها تارة وخفتها تارة
 اخرى من غصص الهم ومساوىء الحياة ما لا ينزل عند طاقة
 انسان ... ؟

ذلك مثلى يارولاند في هذه الأيام واكن آواه ، لم اعد
 اقوى على الكتمان فلقد طفح الكيل وغلى المرجل ونفدت
 جمبة الصبر وصارت النفس والهمة والمهجة واجدة والحشاشة ذائبة
 والكبد محترقة

انى اصلى يارولاند انا الليل واطراف النهار واتوسل الى
 الله ان يقضى من ايام فرقتنا ويطفىء من نيران شوقنا وسهمير
 وجدنا الذى أنحل القلب وافنى النفس : :
 فهل تجيب السماء الدعاء ؟ ؟

وانى فى النهاية اقرئك السلام الى حين اللقاء
 لوسى

من رولاتي الى لوسي

عزيزتي لوسي

بشراك فقد أجيتت توسلاتك وتحققت دعواتك وكذلك

شاء الله أن لا يرد ضراعتك لأنها صادرة من قلب وفي طاهر ،

لقد ورد على صباح هذا اليوم رسالة من مدير المصرف العام

ينبئني فيها بأعطائي الحق في العودة الى نيويورك اذا شئت ذلك

ابتداء من أول مايو القادم .

يا له من خبر سار طارت له نفسى فرحا وتسمع له فؤادى

بهجة وسرورا وباله من يوم مقدس ستظل ذكراه خالدة في القلب

ذلك هو اليوم الذى سأتمتع برؤياك فيه يا لوسي !

آه ما احلى هذه الساعة التى أسطر اليك فيها هذه البشرى

وأجملها ، أنها الساعة الوحيدة التى ذقت فيها حلاوة الكتابة ،

كيف لا وأنا احببتك حبا جعلنى أحب فيه كل شىء من أجلك حتى

شقاؤى وآلامي ، انه ليخيل الى أنى أرى كل شىء بجانبك أجمل
منه في اي مكان آخر ، أليست السماء التى تظلك هى أجمل من التى
أراها هنا ، والشمس التى تشرق على وجهك هى أبهى منها فى أي
مكان آخر .

انك يا الوسى بهجة هذه الحياة والزهرة اليانعة التى أراد الله
أن يحلى بها جيد هذا الكون ، وأنت أنت الجمال الذى يضيء على
وجوه الحسان فيمنحهم حسنهم ، وأنت الوحي الذي يلهم
المحبين والمغرمين .

أحبك يا الوسى ، حبا ماحله قلب أنسان لامرأة ، بل حب
العابد لمعبوده ، لا أستطيع أن أصبر على رؤياك أو التفكير فيك
لحظة واحدة فالى الملتقى الى اليوم المقدس ، الى اول مايو
رولاند

في صباح يوم ٢٤ مايو أي بعد عودتي من مدينة واشنطن يجتطون بينما كنت أعد في محفظة اوراق قبل ذهابي الى المصرف واذا بي اسمع ورائي صوت عدو سريع فالتفت فاذا بلوسي هي القادمة ويدها صحيفة الصباح وتتنازع وجهها علامات البرهجة والسروخ والمجرب والاندھاش افسألتها :

ماذا قرأت ؟ وما بالك مضطربه كذلك ؟

فأجابتنى بتلعثم : اقرأ ، مامعنى هذا ؟

فتناولت الصحيفة من يدها واشد مدهشت وسررت ايضا عند ما قرأت في قمة العمود الأخير من الصحيفة الرابعة ما يلي :

سندات شركة قناة بنما

ارباح اقترح اهذا العام

ربح السند الأول نمرة ٨٣٧ من سندات شركة بنما في اقتراع

هذا العام مبلغ مائة ألف دولار وهو كما علمنا ملك الميسورولاند
ادعمون الموظف بالمصرف الفرنسي الأمريكي بنيويورك وقد بحث
كل من السندات الآتية نمرها مبلغ خمسة آلاف دولار وهي :
٥٢٦ ، ٦١٢ ، ٩٥٣ ، ١٣٨١ ، ... الخ

لم ابالغ من القراءة الى هذا الحد حتى صحت بالاحظ ، بشراك
يالوسى وما اسمعنى بك ؟ ثم اطبقت الدهشة شفاهنا اذ ذاك
فجلسنا صامتين الى المكتب الذى امامنا واخذ كل منا ينظر
الى اخيه باستغراب وبعد قليل تحركت لوسى فى مقعدها ثم
خاطبتنى قائلة :

لم يسبق لك يارولاند ان اخبرتني عن شرائك لهذا السند فمن
اين لك به ؟

معذرة يا صديقتى العزيزة ، لقد نسيت ان اكتب لك عن
شرائى هذا السند فى رسائل الماضية ولما عدت الى نيويورك
انستنى رؤياك كل شىء حتى هذا : : واما حكاية هذا السند فلقد
حدث يوما بينما كنت فى عملى بالمصرف بواشنطن جطن ان تقدم الى
شيخ كهل تدل سيماه على رغد عيشه وحسن حاله وقدم الي ورقة
كبيرة حسبتها احدى اسهم المصرف والكني لما اطلمت عليها

وجدتها انها سند من سندات شركة بنما وكان قد اشتراها منذ عام ١٩٤٠
وسافر الى استراليا ثم عاد هذا العام فحضر لاه مصرف ليستفهم عما
ثم في امر هذا السند الذي اشتراه بمائتي دولار على امل انه قد يربح
مبلغاً ما في اقتراع الشركة وفعلاً فأنى تناولت منه السند واخذت
ابحث عن نمرة سنده بين النمر الاربعة في الاممين السالفين ولم كان
عجبي عظيماً عندما وجدت ان سنده ضمن خمسين سنداً آخر
ربح كل منها عشرة آلاف دولار وان مبلغ هذا الشيخ محفوظ
باسمه في خزانة المصرف ، فهنأته بربحه فشكرني وقد اخذ السروو
منه مأخذاً كاد يخرجوه معه تجاعيد وجهه الى شكاكته بها الاعوام
الطويلة ، وبعد ذلك انصرف الشيخ من امامي لمقابلة مدير المصرف
لاستلام المبلغ ولم اره بعد

على ان اثر هذه الحادثة لم يبرح مخيلتي واستمرت تتحسّن
في خيالي ففكرت شراء احدى هذه السندات يوماً بعد يوم ، اعلى
اكون من الاربحين أيضاً ، وفعلاً عند ما نضجت الفكرة وتم
مجموع ما ادخرته مائتي دولار - وأنت تعلمين أنى كنت اذ ذاك
أتقاضى خمسين دولار في الاسبوع - بادرت بشراء هذا السند
في آواخر ديسمبر الماضي ، ولكن يا لاحظ فلقد ربح هذا السند

عشرين ضمفا مثل التي ربحها سند الشيخ : فشكرا للمولى وحيدا
لفضله ، نعم أنه كان السند الاول في الاقتراع ، وكنت أنت يا لوسى
اول من بشرنى بهذا الربح الكبير :

أستعتقد ان أذن يا لوسى أن كل من يأتي بلاد أمريكا
لابد ان يصبح ثريا : ؟

ها. ها. ها. أظن حتى ولو عن طريق اليانصيب ؟ .
نعم هو كذلك .

وهنا دقت ساعة الحائط الثامنة ونصف فلم يكن يبقى عن
موعد ابتداء عمل المصرف غير نصف ساعة ولذلك فقد اسرعنا
الى الخروج وارجأنا التفكير فيما ننبهه الى ما بعد عودتنا من العمل :
وصلت المصرف وكان الخبر قد انتشر بين موظفيه وعماله واصدقائي
ومعارفي فأخذوا يأتون الى يهنئوني ويبدون نحوي عواطف السرور
والابتهاج ..

ثم عدنا الى المنزل فجاست الى لوسى وقالت ،
ماذا عزمتم عليه أخيرا يا رولاند ، هل لا نعود الى فرنسا

المحبوبة بعد ؟

ولماذا التمعيل

انك الآن قد تحصلت على رأس مال ليس بالقليل كما أنه
 لديك من الشهادات ما يخول لك العمل في المحاماة والقضاء وغير
 ذلك فيمكنك ان تحصل عن طريق هذه المهنة من الثروة والشهرة
 ما لا يتيسر لك مثله في غير بلادنا المحبوبة التي نشأنا فيها وتريدنا
 بين أهلها وعلاوة على ذلك فإنه قد أصبح من السهل لدينا أن
 نقوم بحفلة زفافنا ، فهل لا تجد من الصواب ان نعود الى وطننا ،
 اننا سنعود الى بلادنا ولكن ارى ان الوقت لم يكن بعد
 واني اشعر انه سينالنا من هذه البلاد خيرا كثيرا مما اصبناه فلنتنظر
 قليلا لنرى ماذا يكون من امرنا

فتململت وقالت يجب ان لا نسير وراء الشعور والمواطف
 والتنبؤات التي لا تجد بنا نفعا بل هي مضیمة لزماننا فقط وان
 زماننا تقضيته هنا كموظف في احد المصارف كفيلا بأن يكون لك
 عند الاشتغال بالمحاماة او القضاء في بلادك مركزا ديبالا يستهان به؟
 هذا صواب ولكن هل تؤمنين العودة الى فرنسا قبل مضي
 بقية العام الذي تعاقدا عليه مع المصرف ؟

لا ، انه لم يبق غير خمسة اسابيع فيجدر بنا ان ننتظرها برا
 .تعاقدنا ثم نرحل

حسننا علينا اذن ان ندع مسألة الرحيل الآن حتي تنقضي
الخمس اسابيع وانفكر في شيء آخر قريب .
وماذا تنى بهذا القريب ؟

مرت بخاطري فكرة في الصباح عند ما جلست الي المكتب
اقص عليك حكاية السند وقد صممت على شراء هدية ثمينة اقدمها
تذكرا لأول صفقة من الربح والثروة التي اکتسبناها في امريكا
فأبتسمت لوسى ثم ارخت طرفها نحو الأرض وقالت .
ماذا تقصد بهذه الهدية هل هي «هدية الزواج» .

كلا يا عزيزتي لوسى انى اطمع في ان تكون قيمة هدية
الزواج اضعاف قيمة المائة الف دولار التي ربحتها اليوم . . . اما
هذه الهدية لا غير تذكار بشراك لي اليوم بربح هذا المبلغ . فاذا
تفضلين ان تكون هذه الهدية اطلبي ما شئت حتى ولو تقاضى
هذا المبلغ كله ..

شكراً لك يارولاند ما اكرمك . ولكن اذا كنت مصمما على
احضار هذه الهدية فدعني افكر قليلا وان اجعلك تفر من
مشيئتك ..

فابتسمت وقلت فكري ما شئت وانى مسرور ان اجدك

عند رغبتي .

سكنت هنيئة ثم نظرت الى وقالت

وولاند انهم قالوا اذا اُعسرت ثم ايسرت فتذكر من اسدى

اليك معروفًا وواساك بخير فقدم اليه بمثل ما منحك واحسن اليه

المكافاة وانت كما تعلم ان المستر كلا يتون رفيقنا الضابط في رحلتنا

الشاقة قد اسدى الى جيلاداني لن استطيع الوفاء به وذلك انه

انتشأ من الموت عند غرق السفينة وهذه الحسنة لن انساها

طول حياتي واني ادعو لهذا الضابط بالرحمة في كل صلواتي ولما

كننا لا نستطيع مجازاة هذا الشجاع بعد موته حتى ولو بجزء مما

قدمه الينا من المعاونة فاني تذكرت الآن اسرته التعميسة وقد

انقطعت اخبارها عنا هذه المدة الطويلة واخاف ان يكون مسها

شر او اصابها عوز واني لذلك فكرت ان اتبرع بقيمة الهدية

الى تويد ان تقدمها الى اشراء هدية اقدمها او ادفع القيمة بمساعدة

لاسرة هذا الضابط المنكود لعلنا نكون بذلك قد قدمنا اليه في

شخص اسرته بعد مماته جزءا من دينه عندنا ذلك ما قر عليه رأيي

وهذا ما اخترته من انواع الهدايا

ما أطيب قلبك يا لوسي وما أحفظك للجميل وما أحسن

اختيارك لأنواع الهدايا الخالدة ، واني ارجو ان لرغبتك السامية
سأقدم اليك مبلغ خمسة آلاف دولار لهذا الغرض ، فهل ذلك
المبلغ يكفي لادراك بفتيتك ؟ ؟

انه مبلغ وافر يارولاند دليل اعزازك لي ولرغبتى فشكروا
لك يا صديقي - واني أراني أيضاً يا لوسى مدين لهذا الضابط
يدين أكبر من دينك ذلك هو انه أنقذ حياتك وحياتي معاً اذ
كان في نجاتك من الفرق نجاة لي أيضاً من الموت المحقق لاني
ما كنت أرتضى لنفسى البقاء بمدك ساعة واحدة بل انى كنت
سأظل بجانبك على سطح السفينة حتى نفرق معاً ، ولهذا فاني
أقدم مبلغ خمسة آلاف دولار أخرى لشراء هدية باسمي للأسرة
الضابط -- وقد شعرت ان كلامي أحدث في نفسها تأثيراً
ظاهراً فاستسلمت لتصوراتها لحظة شملنا فيها سكون عميق ثم
تكلمت فقالت :

لقد كنت يارولاند أكثر منى طيبة واخلصاً لهذا الضابط
وأحسن منه اخلصك نحوي ومحبتك لي فما أسعدنى بك
وأهناؤنى بحبك ،

ولكن ماذا ترى أن تقدم من الهدايا ؟

انى أظن أن للضابط ابناً وفتاة ؟

نعم هو كذلك .

لذلك أرى أن نشتري بهذا المبلغ أسهماً من شركة بنما نقدمها باسمي ابني الضابط فاني أظن أن ذلك أكبر فائدة لهما من أى شىء آخر فهذه الأسهم علاوة عن ارتفاع قيمتها يوماً بعد يوم فانهما قد يصيبيان منها ربحاً مثل الذى حصلنا عليه وفوق هذا فان مبلغ عشرة آلاف دولار فى بلاد امريكا الفنية التى يتضاعف فيها الدولار الواحد فى أوجز مدة هى رأس مال كاف لفتى وفتاة لم يتجاوزا من العمر عشرة أعوام ولا يلبثا ان تتسكون لهما ثروة كبيرة عند بلوغهما سن الرشد .

ابتهجت لوسي وقالت ، هذه فكرة حسنة وجميلة جداً ،

ولكن متى تفعل ذلك ؟

سنشتري الأسهم غداً ثم نرود مسر كلاً يتولى بعد غد

ذلك أفضل

وبهذا فاننا صممنا على زيارة اسرة الضابط بعد يومين . . .

١٩

الكوخ

اشترينا الاسهم ولما كنا لم نر مسز كلايتون منذ زيارتنا لها في اليوم الثاني لوصولنا مدينة نيويورك فاننا طبعاً قصدنا المنزل الذي قابلناها فيه منذ احد عشر شهراً ، فركبنا عربة في منتصف الساعة الرابعة من مساء ذلك اليوم فوقفت بنا بعد نحو نصف ساعة امام باب المنزل المذكور فقابلنا الحارس (البواب) عند الباب فسألناه عن مسز كلايتون فدهشنا عند ما أجبنا انها باعت هذا المنزل ورحلت مع ابنيها منذ شهر الى احدى ضواحي نيويورك .

فسألته ، أليست تعلم سبب بيعها المنزل ورحيلها منه ؟
 يظهر ياسيدي ان حالتها المالية قد تزعمت أركانها فرأت في بقائها في هذا المكان تكاليف باهظة لمعيشتها لا تستطيع القيام بها وخصوصاً بعد وفاة بعلها ،

وكيف حدث ذلك ؟

ان قرينها ياسيدي قد تركها مستغرقة بالديون فعلى أثر تحقق خبر غرقه انهال عليها الدائنون من كل جانب ولم تكن تملك اذ ذلك غير هذا المنزل الذي كانت تؤجر طبقتين منه وتسكن في الطبقة الثالثة ثم المعاش القليل الذي كان يتقاضاه زوجها من الحكومة بعد اعتزاله الاعمال ، لذلك اضطرت الى بيع المنزل حتى أمكنها الوفاء بالدين .

حسنا ، ولكن هل تعرف اين تسكن الآن بالضبط
لا ياسيدي ، ولكن استطيع ان اقابلكم بأحد اصدقائها
وكان مستأجراً للطبقة العليا من قبل ولا يزال بها حتى الآن واسمه
المستر ما كس ، فهو يمكنه ان يدلكم على مكانها بالضبط

اذن نخذ بطاقتي هذه وقدمها اليه ونحن في انتظارك
عاد «البواب» ومعه شاب في مقتبل العمر وهو انجليزي
الاصل حسن الهندام والزي فتقدم نحونا وحيانا ثم قال
هل يريد سيدي خدمة ؟

شكراً وانما نود ان نرور مسر كلايتون وقد علمنا انك
صديق لها فهل تسمح ياسيدي ان تهدينا الى مكان اقامتها

فتكون لك من الشاكرين

ها هو عنوانها، وعلى كل حال فأنا مستعد لرافقتكما اليها
إذا احببتما ذلك :

تفضل على الرحب والسعة .

ثم ركبنا العربى نحن الثلاثة واخذرفيقنا ماكس يوشد السمائق
الى المكان المقصود، مضت بنا نحو نصف ساعة ونحن سائرون
بين شوارع المدينة المزدهجة ومبانيها الفخمة ثم انتقلنا الى المراء
حيث الاشجار الضخمة والمياه الجارية التى تشق الخضرة عن
جانبيها وكان من بين المناظر البديمة مناظر القوارب الصغيرة
وقلاعها وهى تطفو من فوق مياه الجداول والخلجان الكثيرة
عن شواطئ نيويورك

استمر بنا المسير حتى اشرفت علينا التلال المجاورة وقد
اخذت تتدرج على سفوحها الخضراوات الناضرة تتخللها بعض
الاكواخ الجميلة التى اكتست بالنباتات المتسلقة فأكسبتها
حسنا وبهاء .

كان من بين هذه الاكواخ كوخ ذا شكل غريب يجذب
الانظار لاناقة صممه وجمال خضرته فالتفتت نحوه لوسى

وخاطبتني قائلة :

انظر الى ذلك الكوخ ما أبهاه ؟

اجل ، انه جميل فلقد ألبسته الطبيعة من جمالها ثوبا
قشيبا فهاهي الخضرة ثمانقه وتلتف حوله من كل جانب بما فيها
من ازهار باسمة واشجار باسقة ، وهاهي المياه الفضية تتدفق
بين منعطفاتها وتلاطم برمالها الضحلة وصخورها النائية وتلك
الطيور تسبح بين الفضاء في سماءها ترسل اليه نغماتها الشجية
وقد ابتهجت بأشعة الشمس التي اسبلت على الارض ثوب
البهاء والجمال ...

ولم أتم اطنابي بجمال هذا السكون حتى صاح بي رفيقنا
ما كس وقال :-

يا لله ، ما اكثر ما تغرر بنا المظاهر الكاذبة وتضلل بأبصارنا
تلك القشور البراقة الزاهية التي تسدل على الحقيقة ثوبا من
الرياء والتمويه ؟

انك لو عرفت هؤلاء الذين يأويهم هذا الكوخ الذي
يتراى لك جميلا وتحسب ان اهله سعداء به لعرفت حقيقة
اشقى واتمس جماعة في هذا الكون بأجمعه ، لو عرفتهم لعرفت

أحق الناس بالرحمة والشفقة لا بالغبطة والحسد

وهنا اردت مقاطعته ولكنّه استمر في اندفاعه فسكت—
أنظر تجد بين جدران هذا السكوخ أما حزينه قد ناءت
بما تحمل على كاهلها من أنواع الهموم والاسقام ، أنظر تجد شبابها
الغض قد توارى بين ثايا التماسه وأحضان البؤس ، وهام أبنائها
تراث حولها ، يتأوه أحدهم كأنه شمر بمصاب أسرته الأليم فبكي
أسى وحزنا ويبتسم الآخر ويهزأ كأنه يسخر بهذا العالم وما فيه
من مظاهر كاذبة وبهذه الدنيا وما أقامت للناس من شرك البلايا
وحبال الخداع وما شادت لهم من صروح البؤس والتماسه .
وهنا تمتمت لوسى وقالت :

أيه لك أيها الدهر الخئون ما بالك وهو لاء المسا كيف ترهمهم
بشديد عقابك وبلغى ارزائك . فبالله ابتمد عنهم بنكباتك وهون
عليهم مصائبك فعماد ما كس الى حديثه وقال :

أجل ياسيدي ، لقد أمسوا أيتاماً ضعفاء ، لا عون لهم ولا
نصير فاقمد نكبتوا في أيهم أعز معين لهم ، ففقدوا به عماد
حياتهم ومصدر سمادتهم ، خسروا به كل ثروتهم ومالهم فأمسوا
مشلولي الأيدي والاجنحة ينالسون رحمة الله ومعونته فإنه لتأبي

نفوسهم الزكية أن تستجدي رحمة غير رحمة مهما كلفهم ذلك من
 يؤس الحياة ونكبات الدهر ، تلك حالهم فانظر وتعمل قليلا فبين
 ثنايا اعطافهم حكمة وعظة لقوم يتفكرون

مأبى بهم فنكأهم عندما يتجرعون الشراب كمن يتجرع السم
 يبتخلص من هذه الحياة حتى يطرح عن عاتقه كل متاعها
 وتقالها وشرووها

آواه ، انك لو رأيتهم اذا ما أسدل عليهم الليل ستاره لرأيت
 قوماً سكنوا الى المواجه والاسقام فيظلم في وجوههم المكان
 ويريدوه وحشة ظلام الليل فيه ترشون فراشهم تعلوهم غبرة وتقصم
 من أنفاسهم نيران حامية وزفرات محرقة تدمع لها العيون وتحزن
 الافئدة ، وهاهي حسراتهم المميتة وتأوهاتهم المتوالية التي تدمي
 القلوب الجامدة وتذيب الافئدة الصخرية تصعد الى أطباق الجو
 صارخة شاكية ، فيالها من أسرة بائسة قد كلها الدهر من أنواع
 الشقاء والآلام ماتتقوض تحتها الجبال الرواسي وتندك له الأرض
 إنى لأخال هذه الازهار الحمراء الا قد تخضبت من دماء
 تلك القلوب الحسيرة التي تتفتت حزنا وهما لما نزل بها من القدر
 المحتوم !

وما هذه المياه الجارية إلا دموع تلك الفتية التيسية التي
تتدفق بين كل حين وآخر

أليس نعم هذه الطيور الشجية الابلقاء أينما رحمة وشفقة لما
يلاقيه أهل هذا الكوخ الذي يرفرفون حوله ويخلقون فوقه ،
وما كانت الشمس ترسل اشعتها صفراء شاحبة الا كمدا
وحسرة مما يعانيه أشقياء هذا العالم وضحاياها التي تفيض لها القلوب
رحمة وتجزع لها النفوس الماء وحزنا

حقيقة صرة ياسيدي رولاند وما يفرنك ماتراه من المظاهر
الكاذبة التي تبدو لك من ثنايا هذه الغلائل الرقيقة التي هي في
الحقيقة ثياب البؤس والشقاء ثم لا يخدعك تلك البهجة الوقتية
التي قد تراها على وجوه مثل هؤلاء البؤساء فانها تسدل وراءها
حزنا عميقاً يوشك أن يذيب قلباً قد قرحته جروح الاحزان
وأدمته مصائب الزمان فبات كسيراً لا يخفف من ألمه او يروح
من همه الا سيول الدموع تذررها العيون ساعة لا تلبث أن تنقضي
ثم يطفح به الألم ويسكن الى الحزن الابدى .

وما بلغ ما كس الى هذا الحد من حديثه حتي كنا مقابل هذا
الكوخ الذي كنا نتحدث عنه طول هذه المدة . وما كان أشد

عجبنا عند ما امر ما كس الخوزي ان يوقف العربية امامه

هل تعرفون كوخ من هذا يارفاي ؟؟

طبعاً ، لا

انه الكوخ الذي تسكنه المرأة التي أنتم في السؤال عنها أي

مسز كلايتون وما نطق بجملة حتى سالت دمية حارة من عيني

«لوسي» اسي وحرنا لما اصاب هذه الأسرة من الشقاء

تقدمنا نحو الكوخ فاستقبلنا عند بابه امرأة خلناها غير

التي عرفناها من قبل فلقد طحنها الامراض وانتابتها الاستقام

فذهبت زهرة حياتها وحانت شمسها الى الغروب. عرفتنا ولما نعرفها

ولكن كان من نعمة صوتها اثبيتها لشخصيتها فحييتها وما اقتربت

منها ، لوسي ، حتى تعانقا بشدة ثم سألتها فقلت : كيف حالك

وحال ابنائك يامسز كلايتون . اني اود من صميم فؤادي ان

تكونوا جميعاً متمتعين بصحة جيدة

شكراً لك ياسيدي رولاند فأنا جميعاً لله الحمد بخير

تقدمت امامنا السيدة ودخلنا من ورائها باب الكوخ ثم

قدمت الينا ثلاثة مقاعد فجلسنا عليها واخذنا نتحدث في بعض

الشئون وكان الكوخ انيقاً في شكله وداخله يدل على حسن

التنسيق والذوق وكان فيه حيزان أو ثلاثة (برافانات) تقسمه
الى ثلاثة اجزاء هي بمثابة ثلاث حجر طبعاً وقد كان الاثلاث بسيطاً
والكنه كان جميلاً

جلست السيدة امامنا وكان الحزن بادياً على محياها وقد
مكننا برهة صامتتين لا تنبس بيوت شفه ولم نكن نسمع اذ ذاك
غير رنة الملاعق في فناجين الشاي التي قدمتها اليها وقتئذ مسر
كلايتون ومن بين هذا السكون العميق والالم الذي سرى في
نفوسنا خلت اني اسمع خفقان قلب مسر كلايتون كأن وجودنا
عندها بمد ان اصبحت على هذا الحال قد احدث لها المأ وحزناً
لذلك تكلمت وقد زودت نفسي بشيء من الجرأة وعدم الكلفة
فقلت .

اني اراك ياسيدي تكتمن بين جنبيك هما مؤلماً ، هل
تسمحين ان تكشف لنا عنه لمانا نستطيع ان نشاركك فيه او
نخفف منه قليلاً ؟

شكراً لك يا صديقي وانما هي ذكرى زوجي كلايتون قد
عأودتني الآن فهاجت لي هذا الحزن ؟
اجل ياسيدي والكن يجدو بك ان لا ندعى للحزن سببياً

الى نفسك فذلك اني يجديك نفعا وانما يجب ان تتعهدى نفسك
بالبهجة والسرور لتسمدى ولديك بجانبك وتحبى اليهما الحياة
وتقوى فيهما الثقة بالمستقبل

آواه ، يارولائد ، اني لا استطيع ان اتصور كيف اراد بنا
الدهر هذا المذاب الذي يجرعنا من صراره كل ساعة ؟ لقد
حاولت ان انسى الماضى وانسى معه احزاني وآلامي ولكن من
يمكنه ان ينسى راضيا الشخص الذي احله في حياته من قلبه مكانا
لا مرتفع بعمده وقد اعزه اعزاز النفس لذاتها

مسز كلايتون ؟ هوني من امرك وخفنى من حزنك والله
ياهمك الصبر والسلوان ، ويصدق عليك غيث رحمة ورضوانه ،
سيدتى ان المرحوم زوجك قد فارق الحياة واني اعتقد ان روحه
قابلتها السماء بالبشر والبهجة لانها كانت روحا مطبوعة على
الاحسان والخير

مات قرينك وهو بديننا ديننا كبيرا اعترفت اليه عند مقابلةنا
الاولى بنيويورك وهودين عظيم لم نستطع ايفاء اليه في الحياة
لان الايام لم تمهله طويلا ، بل واننا ان نستطيع حتى مماثنا ان
نؤدى اليكم منه ولو جزءا بسيطا ، ذاك الدين الذي لا يمكننى ان

أعادله بأي قيمة في هذا العالم هو انقاذ حياة لوسي وحياتي معا
 لأنه كان في محله لوسي بين يديه وقفزه بها الى قارب النجاة ؛
 خلاص لها الى ايضا لانه لو كان أصابها أذى وقد كان محققا اذ ذاك
 لكنت اليوم شريكها بطبيعة الحال ولكن قاع اليم هو مثوانا الاخير
 لأنني ما كنت ارتضى لنفسي الحياة بعدها فأتركها وحدها على ظهر
 السفينة الفارقة وأنجو أنا بنفسى ذلك كان محال . محال جدا . .
 ان هذا الدين الذى أرانى عاجزاً عن ايفاء حتى ولو جزء منه اسأل
 الله ان يجزى المستر كلايتون عني خيراً في حياته الاخيرة ويتغمده
 برحمته ورضوانه

على أن نفس لوسي ونفسي حدثتنا اليوم أن أجرو فأسألك
 أن تقبلي منى هديه لآبنك جاك ومثلها من « لوسي » لكريمتك
 مارى وأرجو أن لا تعتبرهما غير تذكارين منا فقط لزيارتنا بلاد
 أمريكا الجميلة لأننا قد عزمنا على العودة الى وطننا فرسابعه أيام
 قلائل ، فهل لك ياسيدتى أن تمنحينا هذا الشرف العظيم بقبولك
 هاتين الهديتين ؟

أنى أريد منك كلمة بالقبول ؟

تلمات وقالت أن ولدى جاك ومارى يشكران لكما هذه

الماطفة الجميلة نحوهما وهما لا يسألانكما غير أن تديا لهما صداقتكما
ومودتكما فهي مؤنتهم في الحياة :

شكرتها واخذت الخ عليها في طابى وقد عاونتنى لوسى من
جانب وما كس من جانب آخر واخيرا بعد تردد طويل قببات مسز
كلايتون الهديتين وهما تقدمت نحو جاك وكذلك فعلت لوسى
وكان الشقيقان حاضرا داخل الكوخ فناولنا كل منهما أيضا
باسمه على البنك الفرنسى الأمريكى بنيويورك بمبلغ خمسة الاف
دولار قيمة عشرين سهما من أسهم قناة بنما .

فشكر لنا الوالدان هذه الهدايا وكما أطنبت مسز كلايتون
فى الثناء علينا وقد اكبرتنا أى أ كبار وكذلك فعل ما كس الذى لم
يكن يتوقع ان تبلى قيمة الهديتين هذا المبلغ الباهظ فأطلق لسانه
فى الثناء علينا وشكر لنا عملنا الحميد . ثم مكثنا برهة وجيزة
بعد ذاك وودعناها هى وولديها وأنصرفنا مع رفيقنا ما كس من

حيث جئنا .

الرحلة

انقضى علينا عام كامل بالبلاد الامريكية ولقد رأيت من
 رغبة «لوسى» الشديدة فى العودة الى فرنسا المحبوبة ما جعلني
 أرضخ لارادتها التي لم أكن اقوى على اغضاها او معارضتها وفوق
 ذلك فقد كانت نفسى ذات رغبة شديدة الى الاسراع فى عقد
 قراننا وانجاز حفلة زفافنا التي قررنا أن لا تكون بغير أرض الوطن
 العزيز حتى اذا ما أنهينا من ذلك استطعنا ان ننظم حلقة سمادتنا
 المستقبلية الابدية . ولذلك فقد اتفقنا نهائيا على العودة الى اوربا
 ولكن بعد رحلة نظوف بها انحاء الولايات الامريكية حتى لا
 نكون كمن ورد الماء وعاد منه ظمأنا . . . ١٩٤٤

وقد وضعنا برنامجا لرحلتنا التي عزمنا على بدئها من منتصف
 شهر يوليو الجاري يتلخص فيما يأتى : —

نبدأ من رحلتنا من مدينة نيويورك فمدينة فلادلفيا فنخرج

بالتمور ثم الى واشنطن بطون عاصمة البلاد ثم تخترق مقاطعة فرجينيا
 ونمر بمدينة ريتشموند فمدينة ماكن بمقاطعة كارولينا الجنوبية ثم الى
 منتجمرى الواقعة على احدي الانهار الصغيرة بمقاطعة الباماثم الى
 مميل على نفس النهر وبعد ذلك نصل الى مدينة نيوا ورليانز على
 مصب نهر المسيسيبي وناخذ منها الخط الحديدي الباسفيكي الجنوبي
 الذي يسير موازياً لساحل خليج المكسيك حتى مدينة هوستن
 ونستمر حتى نصل مدينة سيوفورد التي يتفرغ منها خط حديدي
 الى مدينة مكسيكو ثم يستمر الخط حتى يلتقى بمدينة الباسو
 الواقعة على نهر ريو جراند الذي يكون الحد الفاصل بين بلاد
 المكسيك والولايات المتحدة ثم نمر بمقاطعة اروزونه وهي جبلية
 السطح حيث نهر نهر كلورادو الذي يسير بين سهل ناضر وسط
 جبال غناء وبساتين يانعة تحف جانبيه جبال ليست مرتفعة
 كثيراً ثم نصل الى مدينة لوس انجلوس التي على ساحل المحيط
 الهادي فمدينة سان فرانسيسكو بمقاطعة كاليفورنيا والتي هي العاصمة
 التجارية على شاطئ المحيط الهادي وتربطها خطوط حديدية بجميع
 اطراف الولايات المتحدة كما ترتبط بثغور المحيط الهادي والمحيط
 الاطلسي بخطوط للسفن التجارية التي تنقل المحاصيل المختلفة

ثم نتم رحلتنا بأن نأخذ الخط الحديدى من سان فرانسيسكو
فمدينة سكرمنتو فأجدن فأماها فشيكاغو حيث نطوف طوفة
قصيرة عند البحيرات الخمس ونشاهد شلالات نياجرا
قريباً من بحيرة ايرى ثم نزور مدينة بفلو ربّة مدن
البحيرات ومنها نعود الى نيويورك من حيث نبحر بأول باخرة
الى ارض فرنسا المحبوبة

ذلك هو برنامج الرحلة الذى وضعناه والذى راق لنظر لوسى
الى درجة كبيرة وكان المزمع ان تأخذ منا هذه الرحلة الطويلة
نحو شهرين او شهرين ونصف تقريباً حتى نستطيع فيها ان
نرى كل ما يحتاج السائح ان يراه فى هذه البلاد العجيبة الغريبة،
ولقد خصصنا لهذه الرحلة جميع النقود التى ادخرناها من عملنا
بالمصرف وتبلغ نحو الالف ومائتى دولار.



فى صباح يوم ١٥ يولييه كنا على تمام الاستعداد للسفر
اذ تحرك بنا القطار فى منتصف الساعة الثامنة من مدينة
نيويورك قاصداً واشنطن.

كان هذا الجزء من رحلتنا ممر وفالدي قلقد سبق ان مررت به عند سفرى الى واشنجطون فى مدة انتدائى فى فرع المصرف الموجود هناك فأخذت أحدث لوسى عنه طول الطريق وأذكر لها الاسماء والاصواف والمعامات وغير ذلك مما يتوق الى معرفته الساح فى بلاد غربية عنه ، وبينما كنت اسرد لها معلوماتى عن هذه الجهات انتفضت انتفاضة خفيفة شمعت بها لوسى فقالت :

مالى أراك هذه اللحظة كأن شيئاً آلمك او كأنك تذكرت امراً ذو بال ؟ !

نعم ، ان ما جملنى اضطرب الآن هو انى فى نفس هذا المكان الذى تجدين القطار سائرا فيه حدثت لى مسألة بسيطة فى أثناء سفرى الاول الى واشنجطون وكانت فى مبدئها ذات أهمية عندى حتى تملكى على كل افكارى وتصوراتى ولكن أهملتها بعد بضعة دقائق من حدوثها اذ وجدت نفسى قاصراً عن تحقيق تلك الأمنية التى عرضت لى ولقد أثارت لى رؤيا هذا المكان ذكرى هذه المسألة

وتفصيل الخبر هو انى كنت اقرأ فى كتاب تاريخى بينما

كان القطار سائراً واسم هذا الكتاب « اسرار الدنيا الجديدة »
وأظنه لدى الآن في حقيقتي ثم فتحناها فوجدته وقلبت صفحاته
حتى وصلت الى صحيفة ١٣٧ ... حيث قرأت لها :

(ان البلاد التي يطلق عليها الآن اسم « المكسيك » ...
الى آخر ما في العبارة ... ولا ينقص الباحث في هذه الاطلال
غير المال ثم الصبر والأناة)

كنت أقرأ باهتمام وقد لاحظت أيضاً ان لوسي أصفت
الى بشفف كبير فما انتهيت من القراءة حتى قالت :

ان هذا مدهش ولكن أظن ان مثل هذا الكنز يوجد
ويمكن العثور عليه ؟

اننى أظن ذلك بل أعتقد أنه صحيح والا فان المؤلف لم يأت
بهذا عبثاً وانما عن أصل ومع ذلك فالمعروف ان ما يوجد باطلال
مكسيكو من الآثار لم يكتشف جميعه بعد وعلاوة على ذلك
فكاننا يعلم ان الملك « منتروما » كان أعظم ملك حكم بلاد
المكسيك ومع ذلك فاننا لم نراه من الآثار ما يوازي هذه
المظمة التي ينسبون لها اليه فلا بد وان تكون تحفة ومقتنياته وآثاره
لا تزال دفينه المخايء والافوار .

وما الذى كنت تفكر فيه يارولاند من قبل ؟
 كنت اريد ان احوز شرف اكتشاف هذا الكنز العظيم !
 ولكن !
 ولكن ماذا ؟
 ولكن لا ينقص الباحث غير المال وهو ما حال دون تحقيق
 أمنيته فى ذلك الحين !
 وأما الآن ؟

الآن لدينا من المال ما يكفيننا للقيام بهذا المشروع الجليل
 الذى قد نصيب منه فى آن واحد ثروة طائلة وشهرة خالدة !
 هذا صحيح ولكن أليس ترى فى هذا العمل مخاطرة قد
 تضيع منا جزءا كبيرا من المال بلا جدوى ؟
 كلا ، ان قاي يشمر ويعتقد تماما ان هذا الكنز موجود
 ولقد صممت نهائيا على انفاذ هذا المشروع فهل ترين بأسا
 من ذلك ؟

أما المشروع فلا اميتطيع ان أنكر انه ذو بال وجدير
 بالاهتمام ولكنى أخاف الفشل !
 لا ، يالوسى ، فلنطمئن وثقي بفوزنا فان نفسى تحدثنى بأننا

مستنبح وما عليك إلا أن تمدني بروحك القوية السامية ...
 لك كل معونة متى يارولاند فتى تنوي القيام بهذا العمل ؟
 في هذه الأيام
 عين الوقت ؟

لاني أرى انه عند ما نصل في رحلتنا الى مدينة سيوفورد نأخذ
 منها السكة الحديدية الالهية الى مدينة مكسيكو عاصمة هذه
 البلاد وحيث توجد هذه الاطلال العتيقة ونباشر السعى توا
 في التماس أمر من مصلحة الآثار بالبحث والتنقيب حتي اذا ما
 انتهينا من مهمتنا وعثرنا على شيء عدنا الى اتمام رحلتنا حسب
 برنامجنا الاول ثم نرحل الى فرنسا
 هذا جميل جداً .

قضينا يومين بمدينة واشنطن شاهدت فيها لوسي
 مناظر العاصمة الامريكية ومبانيها ودور حكومتها وغير ذلك
 ثم استأنفنا سفرنا في اليوم الثالث قاصدين سيوفورد فمكسيكو
 أخذ القطار يخرق مقاطعة فرجينيا وهي ولاية زراعية
 خصبة ، حيث كانت مزارع القمح والحبوب المختلفة تمتد على
 طول الطريق كما تمتد في الجانب الآخر مزارع الطباق وكانت

أهم المدن التي مرورنا بها في هذه المقاطعة هي مدينة ريشموند وهي عاصمة الولاية وبها معامل هائلة لطباق ولفائف السجائر ، ثم أخذ الخط الحديدي ينساب بين سهول المحيط الاطلسي وخليج المكسيك ونهر المسيسيبي وهي جميعها أقاليم زراعية فرائنا مزارع الارز لأول مرة حول مدينة ماكن بولاية كارولينا الجنوبية ثم مزارع القطن الجزوى التي هي أجود أنواع قطن أمريكا وفي هذه الجهات لاحظنا أيضاً لأول مرة كثرة العبيد بين سكان هذه الولاية التي انتقلنا منها الى أشهر ولايات الخليج بالزراعة والصناعة وتلك هي ولاية الباما التي تفوق جميع الولايات الجنوبية بثروتها الممدنية ويظهر انها مثل كارولينا غالبية سكانها من الجنس الاسود ، وأشهر ما مرورنا به فيها من المدن هما مدينتا منتجمرى وممبيل والاحيرة هي عاصمة الولايات التجارية وثفرهم للقطن حيث ينسج بها وكلا المدينتين واقعتين على نهر صغير يعبه الخط الحديدي الى مدينة نيواورليانز التي تقع عند مبدأ الخط الحديدي الباسفيكي وتسمى هذه المدينة أيضاً باسم «الهلال» وهي اهم ميناء لتصدير القطن ، وقد امضينا بها نحو يوم وفي المساء ركبنا القطار الى مدينة هوستن ومنها وصانا الى مدينة سيوفورد في اليوم

التالى ثم عبرنا نهر ديوجراندي حيث أصبحنا داخل حدود البلاد
المكسيكية فأتخذنا الخط الحديدى الاهلى الى مدينة مكسيكو
فجرونا بمدينة تشواهوا ولردو ثم الى العاصمة وكان قد مضى على
قيامنا من نيويورك نحو اسبوع كامل

وصدنا مدينة مكسيكو قبيل الظهر فقصدنا توأأ أحد فنادقها
الشهيرة وبعد أن استرحنا قليلا من عناء السفر قضينا بضعة
ساعات فى التجول فى انحاء المدينة ومشاهدة شوارعها وأهلها وهى
مدينة ذات موقع جميل وجو معتدل وتضارع كثيرا من كبريات
المدن فى العالم

وفى صباح اليوم التالى قصدنا أطلال المدينة حيث فحصناها
فحصا تاما ثم عدنا الى مصلحة الآثار فقدمت طلبا للتصريح لى
بالتنقيب فى تلك الاطلال وقد حصلت على وعد من الادارة المختصة
بتأق ردمنها على هذا الطلب فى خلال اسبوع .

انتظرت بفروغ صبر مضى هذا الاسبوع وقد تمكنت فى
خلاله من إعادة فحص تلك الاطلال التى هى عبارة عن خرائب
مرتفعة تكون أكواما عالية تبرز منها أعمدة ضخمة وجدران هائلة
تدل على عظمتها الغابرة ومجدها السالف ، ولقد استلقت بهوى

نقوش هذه الاعمدة التي تدل على مهارة صناعها وحقهم كما استرعى نظري أيضاً بعض نقوش اخرى تشبه كثير النقوش لغة المصريين القدماء أى اللغة الهروغليفية وقد فهمت من بين رموزها انها بعض كتاباتهم.

انقضى الاسبوع وعدت ثانية الى مصلحة الآثار ولحسن الحظ وجدت أن الطلب قبل وان المسألة موقوفة على كتابة العقد واثبات شخصيتي لدى حكومة المكسيك لتثبت من أمرى وایجاد ضمان كاف بذلك وكان هذا امراً ميسوراً لدي فلقد قدمت اليهم شهاداتي المدرسية من جامعة باريس ثم اوراق الباسبورتات وغيرها وسحبت شهادة بالتخريف من مدير المصرف الامريكى الفرنسى بنيويورك تثبت توظيفي به فى العام الماضى ، فلما قدمت كل هذه الاوراق واكتفوا بصحتها اتهمت كتابة العقد بينى وبين مصلحة الآثار وأهم مواده ان لى حق ملكية نصف ما أجده من الآثار والكنوز واذا أثبتت الحكومة تسليمه فعليها أن تدفع لى تعويضاً مالياً بقيمة ما تمتنع عن تسليمه وبعد تمام العقد خول لى حق البحث والتنقيب فى جميع اطلال المدينة بدون أى معارضة وبمصاريف على حسابى دون مسؤولية الحكومة فى دفع شىء مما

بين الاطلال

في مثل اليوم التالي من الاسبوع الذي حصلت فيه من
 حكومة المكسيك على تصريح الحفر والتنقيب في اطلال مدينة
 الازتيك القديمة بدأت اعمال البحث وقد استأجرت من العمال
 أكثر من ثلاثين عاملاً، وأبتدأنا عملنا في وسط هذه الاطلال
 تماماً كما وصف لنا الكتاب التاريخي موقع هذا الكنز واستمر
 مدى هذه العملية الشاقة أكثر من ثلاثة اسابيع حتى كدنا نشق
 الاطلال شطرين ومع ذلك لم تظهر لنا أية علامة عن وجود أي
 أثر ولذلك انحرفنا قليلاً في الحفر نحو جهة الغرب وقد عللت نفسي
 بأنه قد يكون قدماء المكسيك كانوا يبنون مقابرهم جهة الغرب
 حيث تغيب الشمس معبودهم الاعظم ، ولقد ابلغت العمال أيضاً
 إلى خمسين عاملاً واخذنا نبشر الحفر في دائرة قطرها عشرين متراً
 وبعد نحو عشرة ايام لاحظنا على عمق عشرة أمتار أثر طريق كان

مرصوفاً بالأحجار الصغيرة فاشتدت عزيمتي اذ ذاك وقويت في
نفس روح الأمل على اني احترت في اتجاه الحفر فلقد كان الطريق
متجهاً نحو الشرق والغرب ولذلك قسمت فرقة العمال الى قسمين
جعلت ثلثها جهة الشرق والثلثين الباقيين جهة الغرب ومكثنا
كذلك بضعة أيام حتى انقطع منا أثر الجهة الشرقية فأهملناها
وحولنا قوتنا جميعها نحو الغرب فظل العمل سائراً بنشاط وشدة
مدة أخذ فيها الطريق يسير نحو الجهة الغربية الجنوبية وكان قد
مضى بنا اذ ذاك نحو امان ستة اسابيع ونحن على هذا المنوال
واستمرت عملية الحفر تصعب في الايام الاخيرة قليلاً قليلاً لصلابة
الارض وتراكم كثير من قطع الصخور الضخمة واخيراً بعد مضي
اسبوع آخر رأينا الطريق ينحدر شيئاً فشيئاً وظل كذلك نحو
اثني عشر متراً عثرنا في نهايتها على قطعة مستطيلة من الحجر تبينناها
فتحققنا انها احدي درجات سلم صخري وفي غضون يومين اخذت
تبدد الدرجات الواحدة بعد الاخرى حتى بلغت احدي وعشرين
درجة انتهت عند دهليز واسع تظله صخرة جبلية هائلة وما كان
اشد عجبنا واعظم بهجتنا انا ولوسي عند ما راينا في طرف هذا الدهليز
من الجهة اليسرى باباً فخماً من طراز ابواب المعابد والهيكل القديمة،

هنا صبحت صبيحة الفرح والانتصار وقد اخذنا العجب
والذهول مأخذه واقتربنا من الباب وبواسطة الرموز القليلة التي
استطعت حلها علمت انه هيكل لأسرة الازانة الملوكية

في ذلك اليوم صرفت جميع العمال ولم أبق منهم غير خمسة وقد
منحت كلا منهم دولارين زيادة عما يستحق من الاجر ، ثم ارسلت
في طلب نجار ماهر من المدينة وبعد نحو ساعة جاء النجار ومعه
عدد هادواته وظللنا نعالج باب الهيكل زهاء ثلاث ساعات بكل
دقة وحذر حتي نحافظ على شكله الاصلى وبعد هذه المحاولة الطويلة
انفتح الباب واندفع الهواء الفاسد يخرج من الداخل على انى لم
اكن اطيع صبراً على الوقوف فأسرعت بالدخول واذا بى ارانى
وسط صالة سداسية الشكل تلتف حولها ستة حبر ذات ابواب
نخمة ولم اكد ارفع بصرى الى الجدران حتى بهرتنى النقوش ذات
الالوان الزاهية البديمة التي تضى ارجاء الحوائط بلعماتها ، على
انى لم اجد داخل هذه الصالة شيئاً يذكر من الآثار الالهية الا بضع
قطع من القماش البالية معلقة على الجدران وعليها بعض الرسوم
الى تحت معالمها الايام

نظرت نحو لوسى في ذلك الحين فرأيتها تصور دهلين الهيكل

وأبواب الغرف بآلة تصويرها التي كانت تحملها معها منذ الساعة التي عثرنا فيها في خلال الايام الفائتة على الاحدى وعشرين درجة التي انتهت بنا الى هذا الهيكل وكذلك فقد قامت لوسى بخدمة جليلة جدا وهي تصوير جميع ما عثرنا عليه من الآثار .

قضينا بقية اليوم في معالجة فتح ابواب الغرف الستة ونظرنا الى ما في داخلها من الآثار نظرة سطحية فقد كانت اضواء الشمس قد اخذت تتلون بلون الشفق الجميل فمدنا الى المنزل بعد ان عززنا حراسة المكان بقوة عسكرية كبيرة طلبتها من بوليس العاصمة .

وفي مساء هذا اليوم ارسلت دعوة بمعرفة مصلحة الآثار لنحو خمسين مدعوأ من الاعيان والوزراء وكبار رجال الحكومة من القناصل وممثلي الدول ومكاتب الصحف وغيرهم لحضور حفلة افتتاح الهيكل افتتاحا رسميا وقد حددنا الموعد في الساعة التاسعة من صباح يوم ٥ اكتوبر وبذلك لم يبق عنه غير يوم واحد .

لا تسألنى كم كان سرورى انا ولوسى في ذلك المساء وكم شيدنا من قصور الآمال والاحلام اللذيذة المذبة .

انما سنصبح يالوسى من كبار أغنياء العالم وان يمض يوم

حتى نصبح مالكين للملايين الجنيهات وقناطير الذهب
 نعم ، ما اسمنا يارولاند ، فلقد ذقنا من مرارة المذاب
 ومشاق السفر والتشريد الشيء الكثير وكذلك يجزي الله
 الصابرين .

أستعتقد ان الحب الطاهر هو الذي ساقنا الى كل
 تلك الثروة وهو الذي سيرفع بنا أيضا الى أعلى قمم الفخر والشهرة
 في انحاء المعمورة وعمما قريب ستبلغ هذه الشهرة واهلنا
 ومواطنينا في أرض فرنسا المحبوبة فتتملأ نفوسهم الكبرياء بنا ويملأون
 الرأس نفرا بمجدنا

أجل ، ما أصدق قولك يارولاند في رسالتك الأولى لي
 بباريس من ان الحب عظيم وعمله عظيم ، يحجب الى النفوس
 الرفعة والعظمة . .

ابتسمت وقلت لأترين أن ثروتنا وعظمتنا وشهرتنا
 ستتفوق ما حازه والدك الكونت في سني عمره الطويلة ، وأن
 رولاند الذي كان يعتبره أبوك انه ذلك الشاب المعدم الفقير الخامل
 سيصبح أو اصبح ذلك الثرى الشهير الذي ستحفظ اسمه افراد
 الملايين العديدة من سكان هذه الدنيا ، والذي سيخلد التاريخ ذكو

أعماله المجيدة في اطلال المكسيك ، أليست هذه هي جميع الآمال
الكبار والأمانى الحسان التي حدثتك عنها والتي قلت أنها كانت
علا نفسي ؟ ألا ترين يا لوسى أن الله من علينا بتحقيقها وأننا
بعد قليل سنصير أسعد مخلوقين في هذا العالم ؟ .

ذلك حق يا رولاند ، ودعنا نتضرع الى الله أن يتم علينا نعمته
وسعادتنا فدعونا الله ثم ذهبنا الى فراشنا فنامنا نوما هادئا حتى
الصباح وأستمرينا طول اليوم التالى نمد في معدات حفلة
الافتتاح



٢٢

الكنز

في منتصف الساعة العاشرة تماماً من صباح يوم ٥ أكتوبر
كان جميع المدعوين لحفلة الافتتاح الرسمية قد حضروا يتقدمهم
ولي عهد البلاد فأستأذنتهم ثم تقدمت نحو باب الهيكل وفتحته
على مصراعيه فدخلوا الى دهليز الحجر حيث جذبت أنظارهم
النقوش البديعة التي فوق الجدران .

تقدمنا الى الحجرة الأولى من جهة اليمين وفتحناها فראينا
فيها تابوت الملك وعلى رأس هذا التابوت تمثال من الصخر متوسط
الحجم وهو يشبه كثيرافي ملامحه الصور التي لدينا للملك (متزوما)
الذي اكتشفت هذه البلاد في عهده على يد الاسبانين .

لم يكن في هذه الحجرة غير هذا التمثال والتابوت وهو الذي
خصناه فوجدناه فارغا فعرفنا من ذلك أن الملك كان أعد هذا
التابوت لنفسه قبل موته فلما وقع في قبضة الاسبان وقتلوه لم
يدفن طبعاً به ، ولم يكن على جدران هذه الحجرة أيضا من

الرسوم والنقوش غير صورة قرص الشمس وأشعة الشفق الأحمر
حوله وهي منقوشة على الجدار الغربي

أنتقلنا إلى الحجرة المجاورة فرأينا في وسطها قطعة صخرية
منحوتة وقائمة على أربعة أرجل تشبه الأسد وفي سطح هذه
القطعة جزء أجوف مثبت في نهاية تماثيل صغير يشير بيده نحو
الجهة الشرقية حيث كانت صورة الشمس المشرقة تشع بأضوائها
الذهبية وقد عرفنا من وجود هذه القطعة الصخرية أن هذه الغرفة
كانت خاصة بتقديم القرابين والذبائح للمعبود الأعظم ، ثم
وجدنا بضعة أواني فخارية جميلة الصنع تشهد على حذق الكسيميكيون
أو أهل الأزتيك في هذا الفن ، وكان أبدع هذه الأواني أربعة
أواني على شكل تماثيل على صورة أنسان أحذب تماثيل كثيرا
الحذب من أهل أمريكا وأوربا ، على أن اثنين هذه الأواني جميعها
كانت آنية مصنوعة من الزمرد يبرز في أعلاها رأس رجل ركبته
مطويتان بحيث أن فم الآنية يكون حذبة الرجل في أعلى ظهره
لم أكد أفتح الحجرة الثالثة حتى بهرت أبصارنا بلعمان ذهبي ساطع
يضيء من جوانب الغرفة حتى تخيلنا أننا نولد إلى الوراء وكان منظرها
في ذلك الحين مغايرا وأكثر بهاء من منظرها عندما فتحتها لأول

مرة اول امس — تقدمت الى الأمام فاذا بقدمي تطلأ من تحتها
طبقة لينة ، ورأيت حولي ثلاث تماثيل ذهبية قائمة كل منها نحو متر
واحد وكان التمثالان اللذان في الجهة الغربية والبحريه تماثلان
وهما يصوران الملك واقفا بيده صولجان وأما الثالث فكان يمثل الملك
وهو جالس على عرشه فكان هذا التمثال هو ابداع ما رآه العين وأما
الجهة الشرقية فقد كان يبرز منها بناء على شكل محراب صغير ومن
هنا علمنا أن هذه الحجرة كانت خاصة بعبادة الملك وأما الطبقة اللينة
التي كانت تغطي الارض فكانت نسيجا كثيفا من القطن ذا وبرة سميكه
على شكل بساط مما نراه اليوم ولكنه اقل اتفانا وصنما. وكان لونه
اصفر ذهبيا كلون اضواء الشمس ويدور حول هذا البساط إطار
من الجلود يقرب من نصف متر ثم رأينا فوق هذا البساط متكئين
مصنوعين من خشب الكايلي المغطى بطبقة من الذهب المطروق
ومنقوش فوقها بعض نقوش واشكال دينية غريبة كما وجدنا ايضا
تحت احد هذين المتكئين صندوقا جميلا مزخرفا غاية في الاتقان
ولشد ما دهشنا عندما فتحناه فوجدنا به حجمتين احدهما حقيقية
أى أصلها حجمه بشريه ومرصعة بالحجارة الكريمة وقد فهمت لأول
وهلة انها حجمه أحد عظماء الازتيك حفظوها كحز عندهم وهى

عادة قديمة لازلنا نراها حتى اليوم عند القبائل المتوحشة وأما الجمجمة الثانية فكانت كلها مكونة من الحجارة الكريمة وهي اصغر حجما من الاولى وتدل على نبوغ اهل قدساء المكسيكيين في الاشتغال بفن الحجارة الكريمة والتنميق .

انتقلنا بعد ذلك الى الحجرة الرابعة فرأينا فيها عادة صناديق الواحد فوق الآخر ولما كنت لم اعد لها اول امس عند فتح الباب اذ كان امس الوقت وهجمت جيوش الظلام قاني قد احصيتها اليوم فوجدتها تبلغ اثني عشر صندوقا مكعب الواحد منها نحو ثلاثة ارباع المتر وكلها مصنوعة من خشب البقم السميك ثم رأينا مع هذه الصناديق عددا وافرا من الاقواس والذئاب مبهثرة في هذه الحجرة وكذلك عددا آخر من حراب غريبة الشكل مصنوعة بعضها من النحاس والبعض الآخر من الخشب وفي طرفه سنن مدبب من النحاس ولم نر غير ذلك على أني كنت تواقا لمعرفة محتويات هذه الصناديق ولذلك قد عالجت فتح أحدها وفي خلال عشرة دقائق رأيت من حولى يضطربون عند صرخة صرختها اذ قلت : الذهب ! الذهب !! اذ أنى في الحقيقة لم امتلك شعورى عند ما رأيت أن الصندوق مملوءاً بقطع عملة ذهبية رباعية الشكل عليها بعض النقوش القديمة

وكانت دةشة المدعوين عظيمة جدا حتى اتهم فتعجروا فورا هم جميعا
 فمروا واستنخرابا وهنا تقدمت فتناوات بعض هذه العملة وقدمت
 لكل من الحاضرين ثلاث قطع منها بصفة هدية فقبلوها
 مني شاكرين مني

لم يبق لدينا غير الحجرة الخامسة والأخيرة ، أما الحجرة
 الخامسة فلها كانت تضم إليها أجمل الآثار من الوجهة الصناعية
 والتاريخية فلقد بهرت أبصارنا بالوانى الذهبية المديدة المكسدة
 فوق بعضها ، منها ما كان مستعملا للزينة ومنها ما كان مستعملا
 للطعام وبين هذه الاوانى الى يدعة اوانى صريرية وخزفية لا عجب
 اذا قلت إن الانسان يقف أمامها حائرا لدقة صنعها ونحتها ، وأبدع
 ما رأيناه في هذه الحجرة كرسى كبير وهو على شكل (فوتيل)
 ويظهر انه كان خاصا بالملك بل قد يكون هو عرشه الذى كان
 يجلس عليه فإنه كان يشبه تماما الكرسى الذهبى الجالس عليه التمثال
 فى الحجرة الثالثة وهذا الكرسى أو العرش جميعه من الذهب
 الخالص المرصع بالاحجار الكريمة ومنقوش على ظهره صورة
 قرص الشمس وهي مرسلة اضواءها فوق الافق ثم منقوش فى
 قمة الكرسى وعلى اطراف متكآت الذراعين اسم الملك (منتزوما)

وقد وجدنا فوق هذا الكرسي صندوقا كبيرافيه بعض الملابس
الموشاة بنسيج الذهب وهي تدل على شدة إتقان ومثانة النسيج
في ذلك الزمن ، اذ أنها كانت حافظة لجديتها تقريبا ، ثم
رأينا عند أقدام الكرسي صندوقا آخر وجدنا فيه حليا عديدة
يظهر أنها كانت خاصة بالملك والملكة مما كما شاهدنا جواهرهما
القيمة والتي كان من بينها تاج الملك وهو أثمن ما في هذه المقتنيات
وكان منمقا بالحجارة الكريمة ، ثم خنجر من الذهب المرصع
بالفصوص النخالية وهو آية في الأبداع ويظهر أن الملك كان يستعمله
ضمن حلي زينته .

وكان آخر ما متعنا به الطرف في هذه الحجرة هو صولجان
الملك وعدة عصي غريبه كانت في الزاوية الشرقية من الحجرة وكان
معهما أيضا النشاب والاسهم التي كان يستعملها الملك
أما الحجرة الأخيرة وهي المقابلة للحجرة الاولى أى قاعة تابوت
الملك فأنا قد عثرنا فيها على تابوت آخر ولكنه كان اصغر حجما من
الذي رأيناه أولا ، الا انه كان محكم الإغلاق دليل وجود رفات في
داخله ، وقد فهمنا بالقرينة انه تابوت الملكة ثم تحققتنا من صحة هذا
الظن بواسطة النقوش المكتوبة عليه والتماثيل المبعثرة حوله ، ويظهر

أن الملكة توفيت على أثر وضع لها فقد نقش على ظهر تابوتها صورة امرأة ذات عيني منمضتين وحاجبين منتفخين واسنان بارزة من فمها المفتوح وهو دليل قرب عهدها بالوفاة ثم ثديين مرتفعين وهو دليل صغر عمرها ثم كتب تحت تلك الصورة هذه العبارة وهي التي اعتادت القابلة أن تلتقتها للوالدة أثناء احتضارها وهي : « قومي وأستيقظي من نومك يا ابنتي فالصبح قد بزغ والنهار قد ظهر، قومي واسمعي تغريد العصافير على الأشجار، قفي يا ابنتي وتزيني بحلاك، قفي واذهي الى تلك الأمكنة التي تسحر الابواب مسكن أبيك الذي هو الشمس، هناك يعيش المرء بفرح وسعادة وسرور وغبطة، اذهبي مع الشمس محمولة بين ايدي النساء أخواتك اللواتي تسكن السماء وقد ذاقت حلاوة اللذة بصحبة الشمس أينما جئنا »

وفي الحقيقة أن الولاده كانت معظمه عند الازتيك فئاتشمر الزوجة بالجل حتى يأتي لها أهلها واقرباؤها واصدقاؤها فيهنئونها وما تنتهي من الوضع وتلد طفلا حتى يقيمون الأفراح والحفلات الشائقة وقد كانوا يعظمون هذا الحادث ويستقبلونه بتجلة واحترام لأنهم يعتقدون أنه يزيد في عنصر الدولة وقوتها، كما كانوا يحلون

الوالدة اذا توفت على اثر الولادة ويعجبونها كاله ويصبح لذكرها
الفخر والرفعة

وغير هذا وجدنا صندوقا به بقايا ملابس من «احرمه»
و«شيلان» عما نراهما الآن في بلاد المكسيك ولكن عثت بها
يد الزمان فأبقتها ثم كرسيها من خشب الورد محوه بالذهب
ومرسوم عليه اشكال شروق الشمس وغروبها ثم عدة كرسي
أخرى مغطاة بجلود بعض الحيوانات، واعجب ما رأينا في هذه
القاعة بضعة تماثيل تعبر عن طرق تشويه الجماجم وذلك ان
المكسيكيين كانوا يحبون تشويه شكل جمجمة رأسهم وهذه
المادة لا تزال باقية في بعض الجهات الآن ويختلف التشويه باختلاف
البلاد والقبائل فمن شكل مثلث الجوانب بارز الى الوراء الى الجبين
مفطوح بحيث أنه يظهر امتداد الأنف، وقد رأينا ذلك من بين
هذه التماثيل، تمثالا يمثل غرابة التشويه وكيفية وهو يصور أمراه
تمجن رأس ولدها وهي جالسة على الارض وتريد أن تجعل رأس
ابنها كشكل رأسها وأبناها جالس في حضنها ورأسه بين يدي والدته
تشووه بالتين كأنهما مصقائين، ويظهر ان الاطفال كانوا يكرهون
هذه العملية فتري من شكل التمثال ان الولد رافع يديه كأنه يصرخ

ويريد ابعاد الذراع الذي يمنع رأسه ، ولا شك أن هذا التشويه منذ الصغر يكمل مرور الايام .

وكان من اغراض هذا التشويه عندهم تقوية رؤسهم وجعلها على أشكال مخصوصة اجعلها قادرة على حمل الاثقال فكانوا يربطون في جباههم الأحبال التي يوثقون فيها احمالهم ولقد برعوا في هذه الصناعة اذ اعتادوا رؤية الجمالين منذ القدم اذ أنه بسبب عدم وجود الدواب في بلادهم كانوا يكونون جماعاتاً خصوصية لحمل الاثقال ونقلها من مكان لا آخر بدلا من الدواب وآخر ما طرفنا به من محتويات هذا الكنز العظيم كان تمثالا ذهبيا صغيرا يمثل أحد كهنة المعبد

كانت الساعة في منتصف الواحدة تماما عند ما انتهينا من استطلاع كل ما في الغرف الستة ، فتقدم المدعوون نحوى وأخذوا يهتفونى واحداً بعدواحدثم انصرفوا وانتهت الحفلة وهم يتحدثون بما شاهدوا من دفائن هذا الكنز الثمينة .

ما كاد خبر هذا الكنز الأثرى العظيم يذاع حتي أنتشر في انحاء العالم من أقصاه الى أقصاه وأخذت أعمدة الصحف وأنهارها تفيض في وصف محتويات هذه الدفائن كما ظال مكاتبو الصحف

والكتاب في المجالات وغيرها تطنب وتعلو من قيمة هذه الآثار
ونفاستها ، حتى تحرك العالم أجمع وأخذ السياح من البلاد
الأمريكية والأوربية وغيرها يتحول نحو بلاد المكسيك لمشاهدة
هذه الآثار ، ثم ما كاد يذاع اسمي مقترنا بهذا الكشف العظيم
حتى انتهت على برقيات التهنئة من أصدقائي ومعارفي حتى من
الذين كنت نفسي والد لوسي وبقية اهلي وهم الذين لم يكونوا
ليعلموا أين مقترنا وما أنا حتى ذلك الوقت



٢٣

الشهرة

مضى علينا اسبوع بعد حفلة الافتتاح ونحن نعد الصناديق
والنقلات وغيرها لصيانة هذه الآثار ونقلها الى متحف مدينة
مكسيكو وفي ذلك الوقت كنت لا تجد بصحف العالم ومجالاته غير
أخبار هذا الاكتشاف الذي اصبحت هو موضوع أحاديث جميع
الأندية والمجتمعات والافراد في كل جهة كما اصبحت اسم رولاند
أديسون هو موضع أعجاب كل من تحدث :

كنت مساء ذات يوم جالسا في (صالون) المنزل أدخن
سيجاري واذا بلوسي مقبلة على بخطوات سريعة ووجهها يتهايل
مسرورا وبشرا وتحمل بيدها صحيفة نيويورك جورنال وهي تقول
أنظر يا رولاند ، فالقيت نظرة الى الصحيفة الى يدها فاذا بي أرى
صورتي وصورة لوسي بجانبها وهما صورتان أخذتا لنا في العام الماضي
بباريس وبعد ذلك تناولت لوسي مني الصحيفة وقالت اسمع سأقرأ
ما هو مسمطور بشأننا هنا ، فأصغيت اليها وقرأت ما يأتي :-

يرى القارىء في أعلى هذا الكلام صورة المكتشف الشهير
والاثرى الذائع الصيت المسمى رولاند أديمون مكتشف أطلال
مدينة مكسيكو أو عاصمة الازتيك القديمة وبجانب صورة
صورة صديقه مدموازيل (لوسى دارتوي) كروية الكونت
دارتوي من اشراف الفرنسيين ، ولقد نقلنا هاتين الصورتين
عن مجلة (لافرانس) التي تصدر بباريس وقد علقنا هذه المجلة
على هاتين الصورتين قصة جميلة رأينا أن نقتطف منها للقراء
الكرام المعلومات الآتية : —

كان المسمى رولاند أديمون من الشبان النوابغ في جامعة باريس
ولقد نال شهادة الدكتوراه في الحقوق والعلوم الاقتصادية منذ عام
ونصف بفوز باهر كان فيه الاول على جميع اقرانه ونال بذلك مدالية
الشرف الذهبية لجامعة باريس ، ولقد نشأت بينه في ذلك الحين
وبين صديقه مدموازيل لوسى علاقات وداود وصداقة متينة
أدت الى ارتباطهما برابطة الحب والفرام : على ان الكونت والد
مدموازيل لوسى لم يكن يشأ أن يزوج ابنته من المسمى رولاند
وكان عازما ان يزوجه من شاب فرنسي آخر ولما لحت عليه الفتاة
في المدرس عن هذا الرأي وابي عرضت على صديقها المسمى رولاند

فكرة السفر إلى أمريكا قبل أن ينفذ والدها مشيئته وفعلًا فقد غادروا بلادها بأول باخرة إبحرت إذ ذاك من ميناء الهافر واسمها «بون قوياج» وهي التي ذاع خبر اصطدامها بأحدى الثلجات وغرقها في شهر أغسطس من العام الماضي، ثم أذاعت بعد ذلك جريدة «نيويورك جورنال» خبر وصول المسيور رولاند مع صديقه إلى نيويورك في أحد قوارب النجاة ووصفت المصاعب التي لاقوها في طريقهما عملاً يكاد يتصوره العقل، حتى وصلا إلى ميناء «نيويورك»

وقد تمكننا بمداوصولهما من التوظيف بالمصرف الفرنسي الأمريكي حيث قضياه عاماً كاملاً، وكان من حسن حظهما أن اشترى المسيور رولاند أحد سندات شركة بنما فريج هذا السند منذ أربعة أشهر تقريباً مبلغ مائة ألف دولار، كانت هي أساس رأس مالهما الحالي الذي تحول إلى ملايين الجنيهات بعد هذا الكشف الأثري العظيم الذي باسرا التنقيب عنه على أثر اعتزالهما خدمة المصرف في شهر يوليو الماضي «فأدى بهما البحث إلى العثور على هذه الآثار العظيمة التي خللت اسم «المسيور رولاند إلى الأبد بين أسماء العظماء والذي تولى حكومة المكسيك تقييم اتخايد عمله المجيد تمثلاً برنزيا

اختارت له مكانا بالردهة المقابلة لدار عادياتها وانتهى

لأأكذبك القول أيها القارئ الكريم ، أنه ما بلغت لوسى

من القراءة الى هذا الحد حتى امتلأت نفسى نفرا وكبرياء وكذلك

شمرت لوسى بنفس هذه العاطفة فقالت :

ما أعظمك يا رولاند من رجل خالد الذكر والآثر ، أنت

ترى نفسك أنك بلغت من الرفعة والشهرة شأوا بعيدا .

نعم يا صديقتي وذلك من فضل الله .

والآن وقد تحققت كل آمالنا واصبحنا نملك الملايين من

الجنهيات فأتى أبشرك بحياة سعيدة هنيئة لم يحلم بها انسان في

في هذا الوجود . ذلك ما ارجو وادعو الله أن يتمه علينا بخير



عينت الحكومة المكسيكية في خلال هذه المدة لجنة فنية للحكم

على قيمة هذه الآثار والفصل في قسمتها بينى وبينها ولقد قدرت

اللجنة قيم ما فى الخجر الرابع عدا حجرتى التابوت وتقديم القرابين

التي تنازلت عن نصيبى فيما احتوايه بمبلغ اربعة عشرة مليوناً

ومائتين وواحد واربعين الفا من الجنهيات وهو بالتفصيل كما يأتى

١١٣٠٠٠٠ قيمة محتويات الحجره الثالثة

٩٠٠٢٥٠٠ » » » (منها ٩ ملايين من العملة القديمة) الرابعة

٢٥٠٠ » » » الخامسة

٤٩١٥٠٠٠ » » » السادسة

١٤٢٤١٠٠٠ الجمله اربعة عشر مليوناً ومائتين وواحد واربعين الفا من الجنيته

تمنت اللجنة الاثار والاموال التي وجدت بالمبلغ الموضح بماليه
وخصصت لي نصفه وهو مقدار ما استحققه من هذا الكنز طبقا
لنصوص النفاذ الذي بيني وبين الحكومة، على ان خزينة
الحكومة لم يكن لديها كل هذا المبلغ من الذهب

ولذلك عرضت على أن استلم من العملة الذهبية القديمة التي
وجدناها بالكنز بقدر نصيبي ولكن فضلت أن اعطى أوراقه
مالية وشيكات وحوالات تحت تصرفي لدى مصارف فرنسا
وانجلترا ونيويورك، وفي الحقيقة أنني لم استلم غير حوالات بمبلغ
سبعة ملايين من الجنيته فقط . لأن باقي استحقاقى ويبلغ مائة
وعشرين الفا وخمسمائة جنيه قد تنازلت عنه نظير أنى أخذت
بعض الاواني الذهبية والرمزية وهي التي قدمتها أخيرا كهدية

للمتحف اللوفر بباريس ثم بعض جواهر الملكة وتقدير بنحو مائة ألف جنيه وهذه قدمتها هدية لولسى . . ١٠

بعد انتهاء التصفية بينى وبين الحكومة المكسيكية عازمت انا ولولسى على اتمام رحلتنا فى البلاد الامريكية ثم نمود الى وطننا المحبوب كما كنا عاقدين العزم اولا ، على انه فى اليوم الذى عازمت فيه على السفر قابلني مدير مصلحة الآثار بمنزلى ورجانى باسم الحكومة المكسيكية لتأجيل سفرى اسبوعين آخرين اشرف فيهما على اعمال الترميمات الجارية فى الهيكل المكتشف اذا صممت الحكومة أخيرا على اصلاحه وابقاء الآثار التى وجدت به فى مكانها مؤقتا حيث ان متحف العاصمة ليس به متسع لها ، ثم قدم لي المدير أيضا دعوة من الحكومة لرياسة حفلة افتتاح هذا المتحف الجديد (اي الهيكل) افتتاحا عاما . .

لذلك اضطررت الى تأجيل سفرى حتى يوم ٥ يناير القادم

٢٤

المرض

بينما كان رولاند يشرف على اعمال الاصلاحات التجارية في
 بناء الهيكل كما طالبت اليه ذلك حكومة بلاد المكسيك، اذ سقط
 عليه من طرف البنيان المهدم حجر ثقيل نزل على جانب رأسه
 الايمن فهشم عظام جمجمته من هذه الناحية فخرالى الارض مغشياً
 عليه يتدرج بين سبل يفيض بدمائه فأحدث هذا المشهد المؤلم
 هرجاً شديداً بين العمال الذين هرعوا اليه فحملوه الى داخل الهيكل
 حيث حاولوا حبس الدم من النزول ولكن عبثاً حاولوا حتى حضر
 الطبيب وكانوا استدعوه من مدينة مكسيكو حال وقوع الحادثة
 فحضر في الحال وكان الخبر وصل لوسى أيضاً فجاءت في الوقت نفسه
 مذهوبة الفؤاد وقلبها يخفق خفقاناً شديداً مخافة ان يكون
 أصاب حبيبها شر :

ضمم الطبيب جراح رولاند وأجرى له الاسعافات الضرورية
 ولازمه حتى أفاق من غيبوبته ثم أمر بنقله الى منزله بالمدينة

فنقل حيث كانت صديقتها لوسى تقوم له كمرضة ماهرة لأنها كانت قد مارست فن التمريض في مستشفى باريس بعد برئها من مرضها القتال منذ ثلاثة أعوام ، ولقد استمر الطبيب يموده يوما بعد يوم وهو يعال القوم بقرب شفائه ، وقد عاده يوما فقال له أنه خير منه في الأيام الماضية وأنه يستطيع أن ينزه خارج منزله في الهواء العليل وبين الخضرة الناضرة ، فرافقته لوسى في مركبة الى خارج المدينة ، ساعة أخذنا يتمان فيها الطرف بجمال الطبيعة ومشاهدنا التي أثارت في قلوبهما عواطف الحب والفرام فظلا يتناجيان ويصوران من حياة الهناء المستقبلية ما لم ينعم به مخلوق بعد :

أجل يا لوسى ، لقد أصبحنا الآن من اصحاب الملايين فلن يقصر عن تناول يدنا شئ في هذا العالم ، سيكون لنا قصر منيف يتحدث بجماله جميع الناس ، سنقيم على ضفاف نهر السين بجوار مدينة باريس المحبوبة ، سيكون هذا القصر جامعا لكل شئ من لذائذ الحياة ونعمائها وسيكون لدينا خدم وحشم ومركبات وخيول وسيارات ومزارع وضياع ومعامل ومصانع وبالاختصار سنكون من اغنى اصل اوربا ، وسيكون لنا نخت كبير نشق به عياب

البحار والمحيطات حيثما شئنا واينما ذهبنا ، سنسعد ونحيا حياة هنيئة
طيبة توفّر عليها اجنحة الحب والسلام ، وكذلك ستتحدث
عن خيراتنا واحساناتنا السخية لجميع الأصدقاء والاعداء ، سنبدل
ونعطى ونواسى البؤساء والاشقياء ، وهكذا سنخلد لنا ذكرى
حياة طيبة فى عالم الخير والاحسان كما خلدناها من قبل فى عالم
الشر والمظلمة .

عزيزتى لوسى ، كم أحبك ويتهيج قلبي كلما رأيتك بجانبى ، بل
ان قلبي طافح بحبك وليس فيه متسع المزيد ، بل هو يزيد الساعة
بعد الساعة ولا ينقصه الا ان يتحد بك اتحادا ابديا لا يفت فيه كر
الاعوام والايام .

ماذا عساني يارولاند أن أقول لك من كلمات الحب وأنا لا أجد
ما يفي بالتعبير عما تكنه نفسى من الغرام بك والوله بحبك ، انك
لا تدرك مبلغ حبى لك ، ولو ادركته لادهشك تبريح الوجد بى
وكيف اصبر نفسى الى ذلك اليوم الذي يرى فيه سماء احلامنا منيره
بضياء الحقيقة فيتم هناؤنا ومجتمع اجتماعا لا فراق بعده ، واذا
كان حبك لى هو بمقدار حبى لك فالى سبيل الاحزان يتسرب اليك
ابشر يارولاند ودع سحابة الكآبة تنقشع عن وجهك فانك بأذن

اللّه تستشفى من مصابك وتبرأ من مرضك وتعود إليك فوئك
ثم تري امام عينيك ان الحياة لاتزال زاهية زاهرة .

روالاند ، ان الحب شريف طاهر فهو طريق المروج الى
الله ومن كان قريبا من الله ومن سمواته فهو قريب من الرحمة
بل وهو متشبع بها ممزوج بلبابها ، لذا كان الحب أرحم بنا من
أن يفجئنا في آمالنا ويقضى على أمانينا

لقد فتحنا له قلوبنا على مصارعها طول هذه الأعوام
المديدة فنشأنا معه أطفالا وصبية وفتيانا ثم شبانا وكذلك بنت
بين يديه تلك القلوب الخافقة كل آمالها الحسان وأمانيتها الحلوة
فهل يرضى الحب بعد أن تمهد تلك الآمال بالنماء أن يقف في
طريقه ويريد عنها أو هل يرضى لنفسه خيانة العهد مع قلبين قد
تماقدا معه على أن يناصرهما ويعاونهما حتى يبلغا ذروة أمانيهما ؟
لا ، أنى لا أظن أنه يقبل لمقامه الاسمى ذلك المآل
الدنيء فهو سيمضى في طريقه الشريف وسيتضرع الى الآلهة
ونحن من ورائه نأخذ بيده أن تبعد عنا الاقدار شرورها
وبلاياها ، والآن فلندعو الله ياروالاند أن يعجل بشفائك ويدنينا
من غایتنا ومقصدنا النبيل .

وكذلك أخذ رولاند ورفيقته يتناحيان ساعة طويلة من الزمن ثم عادا ثانية الى منزلهما عند غروب الشمس وفي ذلك المساء نام رولاند نوما هادئا .

عاد الطبيب في الصباح فرأى هلى محيا رولاند علام القوة والنشاط وسمى البهجة والسرور فهناؤه بالصحة وبشره بقرب أبلاله من مرضه .

ثم قضى رولاند طول يومه مسرورا مبتهجا ولوسى بجانبه تحادثه وتواسيه وتبثه غرامها ويثبها غرامه وعلى هذا المنوال أمضيا الوقت حتى أرخى الليل سدائل الظلام فأويا الى فراشهما وغرقا في سبات عميق حتى النصف الاخير من الليل فشعر رولاند بألم يرضنيه ويؤلمه من حيث لا يدري فنادى على رفيقته من الحجرة المجاوزة فأسرعت الى النداء وهي تضطرب فى ثيابها فلما وصلت الى جانبه وسمعت أن دقائق قلبه سائرة بنظام حمدت الله ثم سألته عن شكاته فحدثها عن ألمه الفجائي الذى سرى فى جسمه فحسبت نبضه فوجدته عاديا ولم تلاحظ غير ارتفاع درجة حرارته لارتفاعا طفيفا لا يستوجب استدعاء الطبيب فأخذت تلاطفه وتسامره حتى أبدت ضياء الفجر ظلمات الليل والقت الغزاة عن

وجهرها النقب فاضاعت بأنوارها أرجاء الأفق فأيقظت الازهار
من سبتها والطيور من غفلاتها وأخذت الكائنات تمسح عن
جفونها مسح الكري وكذلك ملأت الدنيا حركة وبهجة
فهاد إليها بهاؤها .

حضر الطبيب في الضحى وظل يبحث عن مكان الداء في
رولاند ولم تمض برهة حتى اسقط في يده ودخل الهم الى قلبه اذ علم
ان مكروبا ساما من جرح رأسه قد سرى في مجرى دمه فسممه ومن
جاء هذا ارتفعت درجة حرارة جسمه هذا الارتفاع الفجائي
وقبل ان يخرج من قاعة المريض نظر اليه وابتمسم له ابتسامة من
وراء قلب كايم وشجبه وهون عليه أمره وانصرف وهو يحمل
بين جنبيه هماً أليماً لما أصاب هذا النابغة من القدر ودأبهم من
مرض عضال أخذ يتمشى في جسمه تمشياً سريماً حارت فيه
قدرته وقدرة غيره من الاطباء .

ولم يمض يوم حتي كان مرض رولاند قد انتقل من دائرة
نطس الاطباء الى تصريف القدر ومشيتة الرحمن فأمسى أمره
موكولا الى إرادة القضاء . . .

٢٥

البهزيان

أخذ المرض يشتد بروولاند اشتداد الالهيب في صميم الخطب
 واستعار الحب في سويداء القلوب فكان يغيب عن العالم ساعات
 طويلة وهو يهذي ويتكلم من حيث لا يدري ولا يعلم ماذا يقول
 ولقد كان من بين لياليه ليلة ليلاء، ما كان أطولها عليه وأشدّها
 على نفسه الرقيقة وروحه المعذب، فذرفت له الميون أي اذراف
 وبسكته المقل أي بكاء وأدمت له الحشاشة فذابت والا كباد
 فتفتتت، قال فما كان يهذي :-

دعوني أنغمض عيني فقد مللت طول هذه اليقظة
 دعوني أستسلم إلى الكرى فقد تعبت جفوني من هذا السهاد
 دعوني أسند رأسي إلى أحضان الأبدية حيث السكينة

والخلود

دعوني أرقد تحت أجنحة الهدوء ولذة الراحة فقد أعبت
 جسمي متاعب هذه الحياة والامم

تعالوا انثروا الزهر حولي وانظروا كيف تخلع الروح ثوب
شبابها مهللة مستبشرة للقاء وجه ربها الكريم !

هاهي تترقق بين الشفاء تريد الخلاص من ذلك القفص
الضيق حيث دامت فيه ثلاثين عاما تسام الشر وخسف العذاب
هيا اغمضوا جفني ودعوا شفاهكم تودعها لثامها الاخيرة
تعالوا ايها الفتيان استودعوا رفيق صباكم التحية الابدية
وسلام الوداع ، وأنتم أيتها الفتيات أغمرنه في ساعته الاخيرة
بمطف قلوبكن المستفيض ، وأنتم ايها الشيوخ هيا فباركوا بأيديكم
الناحلة فتي سيقف بين يدي ربه بعد دقائق معدودة ، تعالوا فزودوه
بحكمة الاجيال الماضيه قبل ان يتنسم نفسه الاخير في هذه الحياة .
قفوا جميعا حولوا اذكروا الله وجلاله ، اذكروا الموت وهيبته
اذكروا الماضي وحسناته ، ثم اقرأوا ما تخطه أيدي الابدية على
جبينه .

وانت يا حبيبتي لوسي ، تعالي ، اقتربي مني وطوقني عنقي
بذراعيك ثم دعيني اسكب نفسي في نفسك واتزود لحياتي الاخيرة
من عذب غرامك ، تعالي فاسمعي دقات قلبي وهي تنبض باسمك
وتردد نغمة حبك ، أنصتي قليلا اسمعي صوت حشاشتي وهي تفري

لفراقك وكبدي وهو يحترق للنأي عنك ، آه يامهجتي ويا آمالي ،
يقولون أن الأرواح خالدة باقية ولكني لأظن أن روحى كذلك
لأنها ستقني ايضاً فى عالمها الآخر عند ما تشمر بتلك المسافات
الشاسعة التى أنأتها عنك وحرمتها رؤياها لك ومناجاتها لفؤادك ،
أجل يا لوسى فليس بعد فراقك بقاء أو خلود وانما ذهاب وفناء .
تعالى اسمعني بنظرة أغمض بعدها عيني فتكون هى كل
ذخرى من الحياة !

لوسى ، تعالى وانظري كيف يفارق الانسان الحياة والحب لا
يفترق منه لان الحب هو من روح الله وروح الله خالدة باقية فالحب
خالد باق ، لا تظني أن حبك سيفنى بفناء هذا القلب الذى ستأكله
جوانب القبر ويلتهمه أديم الارض ، لا ، لا ، بل ان ذرات هذا القلب
المتفتت المتناثر المختلط مع ذرات الثرى سترعرع وينبت ازهارا
تعمطر الفضاء بأريجها المزوج بالغرام أو تنشر مع الهواء والرياح
تصبح بحبك فى كل أرجاء هذا الكون وانحاء هذه المعمورة .
لوسى ، عيشى وقرى واحي حياة سعيدة هنيئة فحسى سعادة
فى حياتى الاخيرة ان اسمع عنك انك تتمتعين بحياة راضية صافية ،
بل وحسى ان روحى السابحة فى اجوار المخلقة فى الفضاء تراك

تتعهد بن قبري بالزيارة فتدري عليه اسباغ رحمتك ورضوانك :
 سلام عليك يا لوسي الى حين اللقاء ، سلام موعدا منه في
 عالم البقاء ، سلام تحمله اليك اضواء الشمس في اليقظة وشفاه
 اللائكة في الاحلام

وانتم يا اخوتي تعالوا ودعوا قبلاتكم تلتقي بأنفاسي الضعيفة
 تقدموا لاسر لكم كلتي الاخيرة :

امسحوا الدموع عن أجفانكم وانظروا الي السماء
 استمطروها الرحمة والرضوان . دعوا المحبة تربط قلوبكم وتقرب
 نفوسكم ونحبب اليكم الحياة واكن العمل والجهاد في هذا
 العالم رائدكم والعلياء مطمح نفوسكم ، كدوا وخذلوا ذكرى طيبة
 من ورائكم ولتسيل منابع الرحمة والشفقة من قلوبكم لاهل
 البؤس والشقاء ، اذكروا المعروف وصنعه واخير وفعله .

اذكروا أمم الحزونة فقدسوها في هيكل المحبة والأخلاص
 أجلوها واعطفوا عليها ، اذكروها باخير دائما ، ولا تلمسوها بأذى
 اذكروها وقد ضحت راحتها وهناءها وراء سعادتكم ، سبحوا
 بحمد ما حييتهم وارفعوها فوق أفئدتكم

ثم اذكروا بالرحمة ابا كان بارابكم قد ضمته أحضان الأبدية

وهو يتوق لاستنشاق زهرة حياتكم

أذكروا الأهل والأصدقاء وصلوهم العطف والمودة، اذكروا

من أسدى إليكم جميلاً ومن زاد عنكم شراً.

اذكروا بلادكم والوطن، اذكروا حريتها واستقلالها، أبدلوا

مهبجكم ونفوسكم في سبيل الذود عنها والعمل على إسماعها

لا تجبنوا وكونوا في مقدمة الصفوف وقدموا عن طيب خاطر

ورباطة جأش كل شيء حتى الجسد والروح.

اذكروا الله كلما أصابكم خير أو زل بكم شر واسألوه

الرحمة والمعونة فهو خير الراحمين

والآن اقتربوا مني جميعاً واودعوا شفتي قبلااتكم الحارة.

ها أنا قد صرت بعيداً بعيداً جداً عن هذا العالم لقد تواري عن

بصري ذلك الأفق وما فيه من بهاء وجمال ، ها هي أشعة الشمس

الذهبية تذبذب أمام عيني وها هي الطيور المفردة تختفي وراء أوكارها

ها هي الخضرة والمزارع يغشاها ثوب الظلام ، وها هي البنيان

والمدائن تغور في باطن التراب ، ها هي المياه الفضضية نجف بين

محاريبها وفي قيعانها ، وها هي التلال والوهاد تنكد وتندثر فلم يبق

من مرتفعاتها أو منخفضاتها اتجاه عيني من أثر ، ها هو كل شيء

مختفى من أمامي ويتوارى وراء ذلك الحجاب الأبدى ، ها أنا لم
أعد أسمع تلك الطيور الشجية ولا صوت النسيم العليل وهويائم
نفور الازهار الزكية ، ها قد هدأت نفثات الأمواج وخرب المياه
وتلاشت اصوات المارة وضجة الرائحين والغادين ، لقد شملني
سكون تام وخيم على هدوء عميق ، لقد صرت بعيداً جداً عن هذا
العالم ها هي الارض وما عليها والسماء وما تحتها قد اختفت عن انظارى
لقد انتقلت الى عالم آخر وراء هذه القبة الزرقاء ، الى ذلك العالم
الأبدى عالم الأمان والسلام حيث لم أعد أسمع غير تسبيح الارواح
بذكر الله ونفثات الملائكة بأناشيد البقاء والخلود .

هيا تمالوا اخلموا عنى ثوب هذا العالم الفاني وكفنوني
بأوراق النل والريحان .

انثروا الورد والازهار حولى وجففوا الدموع ولا تندبوني
تهللوا وانشدوا الاغاني ولا تزعجوا روحي وهى ترفرف
حولكم بصراخكم وعويلكم .
لا تغلأوا القلب بأنينكم ولا تعيدوا اليه ذكرى آلام
الحياة الماضية .

ابعدوا عنى الأحزان وكفوا نحيبكم فكفى ما أصابنى

ثلاثين عاماً .

دعوني أرقد هادئاً بين مضجعي تغمرني السكينة وتضمني

الراحة الى احضانها

لا تودوا السواد حزناً على بل البسوا البياض فرحاً مني .

لا تذكروا غيابي بالفصص والآلام بل حولوا أبصاركم تجاه

رسمي تجددوني مائلاً أمامكم أو أرسلوا بأشعة عيونكم فيما وراء

الخيال تجددوني حاضراً بين أيديكم .

مددوني بين احضان الزهر والاعصاف وارفعوني على

الاكتاف ثم سيروا بي ببطء الى مدينة الاموات .

هناك بعيداً عن ازدحام القبور ، احفروا لي صريراً في الثرى

قريباً من المياه الجارية والاشجار الباسقة حيث تأتي الطيور

المفردة لتأخذ مكانها من اوكارها أو تنهل من عذب سلسيلها

فتشجى بنغماتها ارجاء القبر الموحش وحيث تنعكس سلاسل

الشمس الذهبية او خيوط القمر الفضية فتضيء بنورها ظلمات

القبر وتزيل عنه قليلاً من مخاوفه .

احفروه عميقاً بين طيات الثرى حتى يكون بينه وبين ذلك

العالم المنكود سداً منيعاً وحاجزاً لا تقوى على هدمه الأيام

ثم واروني التراب وخففوا من ضربات ممالئكم ودقات
نفوسكم

ثم اغرسوا ازهار الفل والياسمين والورد والريحان فوق
قبري وحول جوانبه حتى تمطر الجو بأريجها نائرة طيب ثراي
المتزجة برائحة قابي على جناح النسيم العليل تذكر الغادي والرائح
باحلامي الماضية وأميالي السالفة .

والآن فالتفارقوا عني بهدوء ولتعودوا ايها المشيمين من
الاهل والاصدقاء .

ارجعوا الى منازلكم واهنأوا بحياتكم ، ارجعوا ولا
تذكروا يومكم السالف

تناسوه ولا تقيموا نالهم سبيلا الى نفوسكم ، لا تذكروني بل
اذا ذكرتوني اذكروا الله وسبحوه واغبطوا انبطى فتلك هي
الحياة الخالدة الطاهرة التي طالما تافت اليها نفسي وها هو المولى
جل شأنه قد اختصني برضوانه فرفعتني الى جواره دون أتواي
فمدا لك يا الهي وشكرا لهذا الرضوان...

٣٦

الموت

لم يكن الرجاء في شفاء رولاند غير أمنية خلوياً وحماً
مكدوباً فلقد دخل في النزع في الليلة التالية لهذياناً ، فكانت
صرخاته وتأوهاته الأليمة دلائل شدة ما عاناه من المذاب ، كنت
تراه يستكين ويستسلم كأنه يسلم إلى رسول المنية وديمته وتارة
ينفخ ويصرخ كأنه يتشبث بأذيال روحه المرتفعة إلى السماء .

نادي باسم « لوسى » مرتين أو ثلاثاً ونظر تجاهها نظرة
فائرة فأنحنت نحوه وقبلته قبلة حارة وعندئذ التفت وأشار بأصبعه
نحو مكتبه وطلب قرطاساً وقلماً فقدمتهما إليه لوسى فأمسك
القلم بيد مرتعشه وكتب هذه العبارة « أوصى بنصف أموالى إلى
صديقتى لوسى أعترافاً بوفائها وإخلاصها وبالنصف الآخر لأهلى
واسرتى » ثم رآته قد ارتدى منهوك القوى على فراشه وأخذت
قطرات الدمع تفيض من جفنيه بهدوء ثم فاضت روحه .

اقتربت منه عندئذ ونادته فلم يجيبها ، فأسيات جفنيه وقبلته

قبلة أخرى ثم جثت بجانبه تنديه وهي تحتنق بالدموع والدمرات .
 واهاً عليك يا عزيزي رولاند ! ماذا عزمتم عليه وما الذي
 وطنت نفسك به . هل أزممت الرحيل وهل ضاقت بك الدنيا
 فأليت الأهجرها ، أين وعودك لي يارولاند ؟ هل قبرت حبك
 هل قتلت تلك النفس التي تشتهل بنار غرامك ؟ هل اطفأت
 تلك المهجة التي تتقد باهيب وجدك ؟ هل نسيتني ؟

وهل تنسى الالهة عبادها ؟ هل ترضى لي الشقاء والآلام
 من بعدك ؟ ماذا فعلت يارولاند ؟ هل تبديل قلبك من تلك الرحمة
 للفائضة الى تلك القسوة القاتلة ؟ هل سولت لك نفسك أن
 تميمي حسرة ؟ أم هل سئمت رؤياي فازمعت الا الفراق الابدي
 أجبني يارولاند وابتمسم وابتهج ، لا حيا بجانبك وأنتمش بهجتك
 مالي أراك صامتا ساكنا ، هل ضعفت عزيمتك ؟ ! وأنت ذلك
 للقوى الشجاع الذي لم تزعه العواصف ولا الامواج ولم ترعه
 الزلازل ولا الشهب ، تيقظ يارولاند وتحدث الى كما كنا نفعل .
 هيا نبني قصور الآمال ونشيد مدائن الاماني والاحلام ،
 دعنا نداحي القمر في شروقه والشمس في غروبها ، دعنا الى نسير
 بين الرياض وعلى ضفاف الجداول نمجد الحب ونعبد الغرام ،

قم واسمع نغمات الطيور وتغريد المصافير وهي تغشيد اغانيك
وأناشيدك وتغني بمظمتك وسؤددك .

قم تراهم يشيدون تمثالك الناطق بفضلك الشاهد على عظمتك
أخالد بجلائل اعمالك ، قم وحي الجموع التي حولك وهي تهتف
في الفضاء باسمك وتردد تحيتك .

رولاند ، رولاند ، هل نسيت العودة الى ارض فرنسا
المحبوبة ، هل نبذتها وهي التي تحببك ؟ رولاند ، احب الوطن
المحبيب ، انه بناديك أن تعالي وشرفه بفخرك ومجداك .

أنظر يا رولاند تجدني في ثيابي البيضاء متأهبة للزفاف بك
تقدم توى ذراعى ممدودة لمناقتك ، تيقظ فان تغرى المتمطش
لشفيتك يريد ان ترويه برحيق قلبك .

رولاند ، يا بهجة العيش مالمعيش بمدك من طعم ولا للحياة
من لذة .

ماذا يهمني من هذا العالم وما فيه من سماء صافية وكواكب
منيرة وأرض ناضرة وحدائق زاهرة ومزروعات باسقة ، ماذا
يهمني من الثروة والجاه والمظمة والشهرة والقوة ، والسعادة
والسرور ، ماذا يهمني من كل ذلك يا رولاند وأنت لست بجاني

عفاء على الدنيا يا رولاند فلقد صارت في عيني أرضاً مجدبة قاحـ
لأراحة فيها ولا هناء

ما أتنه الحياة بدونك يا رولاند ، ان كل لحظة فيها أبدية مملة
هل أبقى لأعيش بمدك : لا ، لا ، لا يمكن أن يكون ذلك . ان
أحلامنا لم تتمحقق في هذه الحياة فما انا لاحقة بك الى العالم الباقي
لنحققها فيه كما نشتهي ونرضى .

الا سحقتك ايها الموت ما أظلمك تصيب ولا ترحم وتأخذ
ولا تملح ، وتختار ولا تنصف فبالله الاحكامت فعدلت ، وقضيت
في أمري فقضيت ، فتصعد الى السماء بروحي وتنزل الى القبر
بجسدي ثم تدعني حيث ألتقي بالروح التي طالما سعدت معها بأيام
ما كان أقصرها وساعات ما كان أهناها وأنعمها

سلام عليك يا رولاند من كبد مقروح ، سلام عليك من
فؤاد موجدوع ، سلام عليك من حشاشة ذائبة ، سلام عليك من
هقلة دامية ، سلام عليك من نفس فانية .

سلام ثم سلام وانى باقية على حبك ثابتة في ولائك ، قسمة
أن لا أنساك فالى اللقاء الى اللقاء . . .

النهاية

لم تنتفع الفتاة المسكينة بنفسها بعد اليوم الذي دفنت فيه حبيبها
 رولاند فقد زهدت العالم وما فيه والحياة وما شملت فوهبت كل ما
 ملكت يداها الأعمال البر والأحسان ومواساة الفقراء والمنكوبين
 تخليداً للذكرى حبيبها وصديقتها رولاند كما وهبت نفسها إلى العذراء
 فسكنت إلى الدير لعلها تجد في حياة العبادة تخفيفاً لألمها
 واندمالاً لجراح قلبها ونسياناً لآلامها ولكن الحزن كان قد نشب
 فيها أظفاره فنال منها ما لم يناله من الأيامي والثنا كلات فأصبح من
 يراها يرى فتاة شقية بأثمة ، ومخلوقة تميسة منكوبة ، مذهوباً بها
 كل مذهب تهيم في كل مكان ، نارة تراها عند المحراب راكعة تتوسل
 وتتضرع إلى الله أن يقرب من أيامها ويذني من ساعاتها ، وتارة تراها
 جالسة إلى مقعد مكبة برأسها بين يديها تبكي وتنتحب ، وطوراً
 تجدها رافعة وجهها إلى السماء تستدرك من عليها الرحمة والمغفرة
 وطوراً تسممها تهتف وتصرخ ، رولاند؟ رولاند؟ ولم يزل هذا
 شأنها حتى رآها بعض رفيقاتها في صباح يوم من الأيام ملقاة في فناء
 الدير جثة هامدة ضحية غرامها ووفائها فبللوا بالدمع تربتها وبكوا
 عليها بكاء مراً كان هو كل مانا لها من الرحمة في هذا العالم من انتهى

مهرجین روایة الشہداء

صحيفة	صحيفة	صحيفة
٥٠	اهداء الرواية	٨٨
١	كلمة امير الشعر والبيان	٩٨
٥٥	سعادة احمد شوقي بك	١١١
ب	مقدمه	١١٨
١	التمثال	١٢٧
٧	حياة الطفولة	١٤٠
١١	في المدرسه	١٤٩
١٥	عيد الميلاد	١٦١
٣٢	في باريس	١٧١
٤٧	في الشرق	١٧٥
٤٢	المناجاة	١٨٧
٤٩	النجاح	١٩٣
٦١	السعادة	١٩٩
٦٩	الخطبة	٢٠٧
٧٥	في السفينه	٢١١
		في قارب النجاة
		في امريكا
		في نيويورك
		الى واشنطن
		الرسائل
		الحظ
		الكوخ
		الرحلة
		بين الاطال
		الكنز
		الشهرة
		المرض
		الهذيان
		الموت
		النهاية